

لحيين الموازين

[2]

# المنطق المُحيّن

الجزء الأول

نحو تجديد مقاربة المنطق

شكيب بن بديرة الطبلبي

أستاذ وباحث في الفلسفة والمنطق والعلوم الشرعية  
بالمجامعات الإسلامية والمدارس الشرعية



بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

م 2014 هـ - 1435

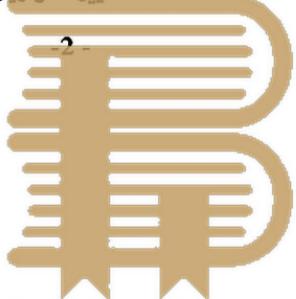
دار المتوسط الجديد   
New Med House

المقر الاجتماعي : نهج تازركة - طلبة - الجمهورية التونسية

الهاتف: (+216) 31 107 040

البريد الإلكتروني: [newmedhouse@hotmail.com](mailto:newmedhouse@hotmail.com)

ISBN: 978-9938-870-08-4



# المنطق المحيّن

## الجزء الأول

شكيب بن بديرة الطبلبي

أستاذ وباحث في الفلسفة والمنطق والعلوم الشرعية

بالمجامعات الإسلامية والمدارس الشرعية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتيَ حَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَدْكُرُ إِلَّا أُولُو  
الْأَلْبَابِ)

صدق الله العظيم

[البقرة: 269]

## كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين. والصلوة والسلام على المصطفى الأمين وآلها وصحبه الكرام الميمانيين والتابعين لهم بياحسن إلى يوم الدين.

وبعد، فهذا كتاب جديد في سلسلة "تعيین الموازيّن"، وهي سلسلة ثقافية علمية خرجت حديثاً إلى النور ب توفيق ربّاني.

وتطهر هذه السلسلة، التي تتناول حقولاً علمياً حساساً وأساسياً، وهو "حقل المعايير العلمية"، نظير: "المنطق" و"أصول الفقه"، في ظرف سياسي حساس وخطير تم ربه الأمة؛ وهو الظرف الذي ما فتئت تكيفه مجموعة الهزّات الارتدادية للزلزال الكبير المسمى "الربيع العربي".

وحيث أنَّ أهمَّ مواصفات الوضع الحالي يمكن أن تدرج كلها تحت عنوان جامع هو "اللاعقلانية"، أو "التغييب المبرمج والممنهج للتفكير المنطقي"، فإنَّ أهمية هذا المشروع تكمن في أنه يستهدف تطهير الفضاء المعرفي العام من الطفليات المنطقية، وهي كل العناصر الحجاجية الخارجة عن العناوين المنطقية الشريفة كالبرهانيات، والاليقنيات عامة، والداخلة تحت عناوين مشبوهة مثل: "الظنون" و"الأوهام" و"المغالطات".

فنجو من العلي القدير أن يكلاً هذا المشروع بعين عنايته، ويُسدد جميع العاملين عليه إلى سبيل مرضاته، ويعصّهم من الزيف عن صراط النجاة.

والكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم هو الجزء الأول من مشروع بحثي علمي وبيداغوجي: تحين علم المنطق.

#### \* سلسلة تحين الموازيين

لقد تقدم تعريف هذه السلسلة في كتابها الأول. ونكتفي هنا -بالإشارة إلى أن "تحين الموازيين" يقصد منه جعل الموازيين والمعايير المعتمدة في تقييم الأجهزة المنتجة مستجيبة لمقتضيات المعاصرة ولحاجات الزمان والمكان، وهو القدر المتيقن اللغوي من "تحينها".

أما الفضاء العلمي المستهدف بشكل خاص، فهو متنوع ويشمل مختلف حقول العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومنها العلوم الشرعية. ومن الطبيعي أن يكون علم المنطق أول هذه الموازيين التي تتطلب مثل هذه المقاربة التحينية المترابطة بين المراجعة العلمية وتدعيم النجاعة.

#### \* تحين المنطق

تحين المنطق مشروع يريد أن يكون نظرياً وبيداغوجياً في آن واحد. ولو كانت الأولوية للحظان النظري، لخرج هذا المشروع إلى النور في كتاب وحيد كبير الحجم. ولكن اللحظان الثاني هو الذي حكم على هذا العمل بتقسيمه إلى ستة كتب صغيرة أو متوسطة الحجم. وسوف يكتشف القارئ الكريم في هذه المجموعة ازدواجية غرضها وسعي مؤلفها الواضح لتلبية توقعات صنفين من المهتمين بالمنطق: فهم إما باحثون في الحضارة العربية الإسلامية، وإما طلاب المنطق ومدرسوه من المتفrgين للعلوم الشرعية.

ولا شك أن ازدواجية الغرض، وهي طبيعة بلحظان هذه الثانية في مخاطبي الكتاب، كان يمكنها أن تثقل كاهل هذا العمل وتجعله صعب الهضم. ولكن كل ملوكات التحقيق والتدقير التي اكتسبها مؤلف المجموعة طيلة أربعة عقود من الدرس والتدريس والبحث والتأليف، قد وقع توظيفها لجعل هذه الازدواجية خلقة ومثمرة من الناحيتين العلمية والبيداغوجية. وترك للقراء الكرام مهمة تقييم مدى التوفيق الذي تكللت به هذه الجهود الجدية.

وقد انقسمت كتب هذه المجموعة إلى مرحلتين: "المنطق المحيّن" و"المنطق التكاملّي".

فأُلما الخطأ العام المميز لبحوث مجموعة "المنطق المحيّن"، فهو التمهيد التاريخي لمشروع علميٍّ تطويري هو "المنطق التكاملّي"، وهو المشروع العلمي البيداغوجي الذي قد سبق لصاحبه اختباره عملياً، في ساحة التدريس الأكاديمي، فتكلّل بنجاح كامل. وقد كان نشر بعض دروس هذه التجربة على شبكة يوتوب وما لاقته من حسن القبول ومن طلبات ملحّة في تدوين مضمونها، أكير مشجع له ليقدم على صياغة هذا المشروع بشكل يجمع بين الغرضين العلمي والبيداغوجي، فكانت مجموعة "المنطق التكاملّي" التي يلي إصدارها نشر مجموعتنا هذه.

#### \* تحين النظرة إلى علم المنهج

بيان الموجهات العامة لعملية تحين علم المنهج هو المقصود الكلي لكتب هذه المجموعة الثلاثة. ولكنَّ هذا الجزء الأوّل قد اختص بالجانب الشكلي والارتباطي من هذا التحين، وهو ما اللذان يندرجان تحت عنوان "تحين النظرة إلى علم المنهج". وقد سعى المؤلف في هذا الكتاب إلى تقديم أهم عناصر مشروعية هذا التحين، أولاً، ثمَّ تحين تعريف علم المنهج، ثانياً.

وفي مرحلة ثالثة، جاء دور تقديم فكرة إجمالية عن سابقة التحين لهذا العلم في الفضاء العربي الإسلامي، رافعاً بعض الشبهات التي اكتنفت تحليل الظاهرة المنشقية. ثمَّ اختتمت مباحث هذا الجزء بتقديم نموذج في غاية الاختصار لعملية تدوينية لأهم تحين عرفته الحضارة العربية الإسلامية في أوج مجدها الابداعي.

فحسبي أن يكون هذا العمل لبنة صلبة في بناء شخصية عربية مسلمة تعيش عصرها، فاعلة لا منفعلة، واعية لا حاملة. وحسبي أن يجعل المenanan هذا الجهد المتواضع في صحائف حسنات كل من ساهم فيه. والله ولي التوفيق.

## شكر وتقدير

أتوجه بالشكر والتقدير إلى جميع الذين ساهموا في إخراج هذه المجموعة إلى النور وخاصة أعضاء لجنة التأليف والتحقيق في دار المتوسط الجديد الذين كان لهم فضل مراجعة الإحالات المرجعية وتدقيق مصادر البحث، وأخص بالشكر -أيضاً- أبني الفاضل الدكتور نزار النفاتي الذي تولى مشكوراً مهمة التدقيق الأخير.  
ونسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل في صحيحة حسناتهم.

المؤلف

## ١. الجزء الأول

نحو تجديد مقاربة المُنطق



## 1.1. الفصل الأول

إشارات

حول موجبات تحيين علم المنطق

\*\*\*\*



### **1.1.1. المبحث الأول**

#### **علم المنطق**

**بين المجد الاتباعي والرداءة الوظيفية**

\*\*\*\*

### **1.1.1.1. البحث الأول**

#### **موقع متميز وقصور وظيفي**

##### **1.1.1.1.1. الاتباعية وازدهار العلوم الآلية**

ليس في القول بأنَّ العهد الاتباعي الكبير للحضارة العربية الإسلامية قد بدأ مع نضج حركة تدوين العلوم وتفريعها، أي في أواخر القرن الرابع للهجرة، مجازفة علمية، بل ذلك هو مقتضى التحقيق. لكنَّ الجزم باستمرار هذا العهد وامتداده إلى عصر النهضة الإسلامية، التي ما تزال تراوح مكانها منذ ظهرت

بواحد الإصلاح الاجتماعي والديني في أواخر القرن التاسع عشر للميلاد<sup>1</sup>، لا يخلو من مسامحة قد لا تكون مغتفرة في مقام تحقيق هذه المسألة. ومحتصر بيان ذلك، أنَّ العهد الاتباعي قد أفل نجمه منذ دخلت البلاد العربية الإسلامية في ما يمكن تسميته "قرونها الوسطى"، أي منذ سقوط الأندلس وانتقال مشعل قيادة الأمة إلى السلطنتين التركيتين المتعاضلتين: العثمانية والصفوية، في بداية القرن العاشر للهجرة.

لذا، فمن الأنسب الاقتصار في مدلول مصطلح "العهد الاتباعي"، على مقداره المتيقّن، وهو المحدود بين القرنين الخامس والعشر للهجرة.

ومن أهم إنجازات هذا العهد الاتباعي، اشتداد حركة التفريغ العلمي، بحيث تجاوز عدد الحقول العلمية ما كان معروفاً في التراث اليوناني الهيليني. كما أنَّ حركة التفريغ، هذه، قد كانت تشكّل طلباً مستمراً ودافعاً قوياً لتوليد أدوات علمية ومناهجية متتجددة، تحت عنوان كبير هو: العلوم الآلية.

والعلم الآلي هو العلم الذي لا يُقصد لذاته، بل يطلب لكونه أداة تفيد النتائج المحققة فيه على مستوى علوم أخرى، هي الغاية.

ومثال العلوم التي تُعتبر غاية في نفسها: علم الفقه، الذي اعتبرته الثقافة الاتباعية: "أشرف العلوم". وكل علم يخدم الغرض الفقهي، مثل علوم الحديث وعلوم التفسير، تُعتبر علوماً آلية بالنسبة للفقه، وإن كان بعضها قد اكتسب نوعاً من الغائية في نفسه، مثل علوم القرآن والحديث.

ومن العلوم الآلية التي استجمعت أطراف كثير من العلوم الأخرى: علم أصول الفقه، الذي تجتمع فيه قواعد كثيرة من اللغة والبلاغة والتفسير

---

<sup>1</sup>- تغيير الرزنامة دال على خروج زمام المبادرة الحضارية من أيدي العرب والمسلمين وانتقاله إلى أيدي الأوروبيين.

والحديث. ومن أهم العلوم التي أدمجت قواعدها ضمن علم الأصول: علم المتنطق. ومن المسلم أن علم المتنطق، منذ أن نجح في فرض نفسه في الساحة الفقهية الإسلامية، من خلال دوره الحساس والحساس في تطوير علم أصول الفقه، قد أصبح يحتل موقعاً متميزاً ضمن المنظومة الثقافية الاتباعية.

#### ١.١.٢. تميّز موقع المتنطق

يظهر تميّز هذا الموقع، خاصة، إذا لاحظنا ثقله الوظيفي ضمن المعارف الأساسية المطلوبة في تكوين طلب العلوم الشرعية والعقلية على حد سواء. فالحاجة إلى القواعد المنطقية الممهدة والجاهزة لا تقتصر على ساحة الاستنباط الشرعي، بل هي عامة لكل الحقوق: فالمتنطق هو الميزان العام الذي لا يُستغني عنه. وهكذا كان علماء ذلك العهد ينظرون إلى علم المتنطق، حتى عمد أكثرهم إلى تجديد تدوينه كلياً أو جزئياً بحسب ما شعروا به من مقدار الحاجة.

لكنَّ هذا الموقع المتميّز الموروث -تاريخياً- عن حقبة بلغ فيها العرب والمسلمون<sup>١</sup> أوج ازدهارهم الفكري والمادي، قد بات يلّفه عماء من الإبهام والإغفال سببه وضع وظيفي رديء لا يليق بهذا التاريخ المجيد، وعنوانه الأبرز هو: القصور عن أداء الحدّ الأدنى من الأدوار الحمائية والتحصينية المطلوبة

---

<sup>١</sup>- هناك توسيع لعنوان العربية على حساب مفهوم الإسلام في الحضارة الإسلامية: فالعروبة ليست مفهوماً عرقياً، بل هي اختيار حضاري. لهذا كان ابن سينا والفارابي عربين، مع كونهما من ترك بلاد وراء النهر. أما الإسلام فهو مفهوم مدني أكثر مما هو عقائدي. لهذا فيقال عن الرازبي الطبيب أنه كان مسلماً. والحضارة العربية الإسلامية فضاء ثقافي ومدني منرن استطاع أن يستوعب جميع عناصر الثراء والتنوع التي احتواها الفضاء الجغرافي الممتد من الهند إلى إسبانيا.

من هذا العلم الذي لا تعريف يناسبه سوى كونه "آللة متشكلة من القوانين والقواعد التي من شأنها أن تحصّن من يتقنها من زلات التفكير". ولكي نفهم هذه الحالة الغريبة، لا بدّ من وضعها في إطارها الإنساني (الأنتروبولوجي). فمن مميزات الحضارة العربية الإسلامية، أنها قد جمعت بين ظاهرتين لم تنجح حضارة قبلها في الجمع بينهما على نحو تامٍ، وهما: الدين السماوي وازدهار العلوم العقلية، نظير: الرياضيات والمنطق والفلسفة وعلم الكلام. ففي إطار الحضارة العربية الإسلامية، خاصة في عهدها الاتباعي، نجحت تلك العلوم في تثبيت موقعها لدى النخب الفكرية والعلمية العربية<sup>1</sup> على مرّ التاريخ، رغم شدّة عواصف المواقع وقوة المنافعات، التي لم يخل منها عصر من العصور.

\*\*\*\*

---

<sup>1</sup>- العروبة المنظورة هي عروبة اللسان، وهي رابطة أعم من الرابطة الإسلامية في ذلك العهد، وإن كانت النسبة بين العروبة والإسلام قد تغيرت إلى عموم وخصوص من وجه بعد غلبة الموجة الشعوبية ودخول العالم الإسلامي مرحلة الإمبراطوريات العجمية المتعاضلة: العثمانية والصفوية والهندية، بداية من القرن العاشر للهجرة، وهو بداية عهد الأقوال الاتباعي.

### ١.١.٢. البحث الثاني

#### مفارقة الموضع والأداء

##### ١.١.٢.١. مفارقة توجب التحقيق

مما تقدم آنفاً، يتضح أنه من الطبيعي أن يكون علم المنطق من أكثر العلوم العقلية صموداً وثباتاً على مر السنين والقرون؛ إذ أنَّ هذا العلم لم يلبث أن تحول إلى مقدمة لا غنى عنها، لا فقط لدراسة العلوم العقلية، بل حتى لكثير من العلوم النقلية والتجريبية.<sup>١</sup> لكنَّ هذا المكتسب الوجودي الذي حققه علم المنطق في هذا الفضاء الحضاري، لم يستلزم وصوله إلى الكفاية الوظيفية، أي تمكنه من أداء الوظائف التي دُونَ من أجلها؛ بل إنَّ هناك شواهد عديدة تؤكد كونه قد بات مصاباً بقصور حاد على هذا المستوى.

والحقيقة أنَّ حالة القصور المنطقي العام ليست مما يخفى على أحد في عصرنا؛ فالمزج بين عناصر الخطابة العاطفية والتوهمات الشعرية، بل حتى ارتكاب بعض أنواع المغالطة، وغير ذلك من أشكال الخطاب المنطقي الرديء، قد تحول إلى خطاب راجح تشتراك في التعاطي معه، سواء بالإلقاء أو بالقبول،

---

<sup>١</sup>- سيأتي توضيح الفرق بين هذه الأقسام الثلاثة من المعرفة، في محله من بحوث المناهج، في الرسالة الثالثة. ونكتفي، هنا، بذكر أهم المواصفات.

جميع فئات المجتمع، ولا يُستثنى من هذا التعميم حتى بعض المشتغلين بعلوم الشريعة، الذين تحولوا إلى ضحايا متميّزين لهذا الخطاب، إن لم يكونوا هم أنفسهم من المتعاطفين لبعض أشكاله الخفية.

فالمفارقة التي أشير إليها، إذن، هي بين موقع موروث تميّز لعلم المنطق، من جهة، وأداء تحصيني في غاية الضعف، من جهة أخرى. وهذه المفارقة هي التي فرضت علينا<sup>1</sup> الشروع في عملية تعين واستدراك علمي طموحة، عساها تستدرك بعض ما فات طيلة قرون من الجمود.

#### ١.١.٢. المكاسب التاريخي والقصور الحالي

يمكن القول أن أهم مكسب إنساني تحقق لعلم المنطق طوال تاريخه، اعتباره منطقاً إنسانياً عاماً، غير مرتهن بخصوصية ثقافية يونانية أو غيرها، وإن نحن سلّمنا بأنّ فلاسفة اليونان كانوا السباقين إلى تدوينه.

فبعد أن استقر الاعتراف بالمنطق الإنساني العام، المنسوب إلى اليونان في غفلة عن التطورات التي شهدتها في أحضان الحضارة العربية الإسلامية، بوصفه العلم الذي يهدف إلى حماية التفكير الإنساني من ال الوقوع في الخطأ والمغالطة والتساهيل المخل بأغراض الكلام<sup>2</sup>، تمكّن من فرض نفسه في مختلف ساحات الفكر الإسلامي، وإن اضطررت الظروف بعض مستعمليه، أحياناً، إلى

<sup>1</sup>- لم يكن الوضع الخاص لكاتب السطور، قبل الثورة، يسمح له بـإخراج هذه المحاولة بشكل علني. فلجاً إلى تضمين أهم عناصر التجديد فيها كتبه الخمسة المعرونة بـ"منهجية الاجتهاد". وقد طبعت طبعة تعبيرية غير مصححة بالكامل سنة 2010، وعرضت نسخ محدودة منها بمعرض دمشق الدولي السادس والعشرين. وأعيد طبع الكتب الثلاثة الأولى منها منقحة ومزيدة تحت عنوان "منهجية الفقاهة" منشورات المتوسط الجديد 2013.

<sup>2</sup>- سلبيّ تعريف علم المنطق، بكونه "آللة قانونية تعصم مراعاتها الإنسان من الخطأ في التفكير".

الكتابية عنه بعنوانين أخرى، مثل: "معيار العلم"<sup>1</sup>، قدّها، و"ضوابط المعرفة"<sup>2</sup>، حديثاً، وغيرهما...

ورغم كل ما تعرض له المتنطق من حملات تشويه، وما شهدت تاريختنا من فترات إرهاب مظلمة استهدفت المشتغلين به، إلا أن تلك المراحل الحالكة كانت مؤقتة، ولم تعمّر طويلاً. فلم ينقض القرن السادس حتى نجح هذا العلم في فرض نفسه حتى في الساحات العلمية الأشدّ احترازاً تجاهه، مثل بعض المدارس الفقهية التي ترفع شعار النصوصية المحضة. لذا، لم تكل محاولة شيخ الإسلام ابن تيمية لزحزحة هذا العلم عن موقعه المتميز، في بداية القرن الثامن للهجرة، بأيّ نجاح، رغم جديّة بعض النقوض التي أوردها هذا المحدث الشهير على بعض مسائله. فقد كانت بعض نقوضه على المتنطق جزئية ودقيقة؛ وما كانت لتزيد هذا العلم إلّا حيوية، لو وجدت من بين أهل العلوم العقلية من يوليه الاهتمام الذي تستحقه ويتناولها بالنقد، فيستوعب منها ما هو جدير بذلك.

وعلى أية حال، فإنّ مثل هذا الموضع المستقر، والمقام المطمئن لعلم المتنطق، يُعتبر مكسباً هاماً، فما من شك في كون تعليم المتنطق لم يعد ذلك المحذور الذي يتوجس منه المحافظون خيفة. فقد أصبحت جميع مدارس العلم الشرعي، بقسميه المعقول والمنقول، تحرص على أن يمرّ طلابها بدورة دراسية كاملة في علم المتنطق، أو حتى بدورتين متلاحمتين تتولى ثانيتها تعميق مضمون أولاهما؛ وذلك منذ المراحل الأولى للدراسة الشرعية.

لكن، مع كل هذا، يجب الاعتراف بأنّ دراسة هذا العلم على هذا النحو الجديّ، أي: على مستويين: تمهيدي مختصر، ثم أساسيّ عميق، لم يتحوّل إلى

<sup>1</sup>- وهو عنوان كتاب للإمام أبي حامد الغزالى المتوفى سنة 505 للهجرة.

<sup>2</sup>- عنوان كتاب للمرحوم عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، وهو معاصر.

سنة راسخة إلا في بعض المؤسسات التعليمية المبنية نسبياً، والتي تؤمن لطلابها فرصة التوجّه إلى تخصصات عقلية، كالفلسفة وعلم الكلام. أمّا المدارس المتخصصة في العلوم النقلية، فقد بقيت مقتصرة على تدريس حدّ أدنى منه ، قد أثبتت تجارب السنين قصوره عن المطلوب التحصيني.

ثم توالّت أحاديث العقود الثلاثة الأخيرة لتوّكّد خطورة هذا القصور الوظيفي. وما يدعو إلى إعلان أعلى درجات الإنذار، أن هذا القصور المنطقي قد تحول إلى ظاهرة واسعة الانتشار: فهو، اليوم، سمة قد عمّت حتى المؤسسات التي تقرّ بأهمية هذه المادة، والتي حرصت على تدريسيها، بكل جدية، في مستويين على الأقل.

ويمعاينة هذا العموم، يتبدّل إلى الذهن أن لهذه الظاهرة أسباباً عميقة، تتجاوز مجرد الغفلة أو الإهمال، ومن الضوري الوقوف عليها، حتى يمكن تلافيها وتقديم الحلول المناسبة لها، في الأمدين: القريب والبعيد.

\*\*\*\*

## ١.١.٢. المبحث الثاني من مظاهر قصور الأداء الوظيفي

\*\*\*\*

### ١.١.١. البحث الأول التردي المنطقي وانهيار مستوى التحصيل

#### ١.١.٢.١. وظيفة المنطق في الحقول المتردية

لا شك<sup>١</sup> أن الظاهرة الأشد خطرا على مستقبل الثقافة والسياسة في بلاد المسلمين، وهي المسألة الأولى بالتدارك والمعالجة الفورية، ظاهرة السقوط العام والشنيع في المستوى العلمي الأكاديمي في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية. وما يجعل هذه الظاهرة في غاية الشناعة، أنها كثيرا ما تكون

---

<sup>١</sup>- كتب هذا النص قبل عشر سنوات من الثورة التونسية المجيدة. وهذا هي ذي أحداثها تكشف بما لا يدع مجالا للشك واقعية هذا العجز. فليس هناك من تفسير دقيق لسرعة سرمان نيران الفتنة في جسم الأمة سوى المراءاة الشنيعة التي طبعت النخب الاجتماعية والدينية، على المستويين الأكاديمي والأخلاقي. وكل هذا الواقع الرديء، قد تم تشييده على أساس من التسطيح الممنهج للملكات النقدية. وهو النتيجة الطبيعية لتردي المستوى التعليمي للمنطق.

نشازاً أكاديمياً، لا قاعدة تجري على كل التخصصات: فلا تخلو بعض الجامعات الإسلامية من تخصصات علمية ذات مستوى عالٌ نسبياً، كما هو حال الطب والهندسة في بعض جامعتنا، لكنها تبقى دائماً خارج دائرة العلوم الإنسانية والاجتماعية.

ومن أهم ملامح هذا السقوط العام في مستوى تحصيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، الانهيار المنطقي الكبير الذي يعم جميع المؤسسات التعليمية التي ترعى هذه الحقول المعرفية.

وفي هذا المناخ العام من السقوط العلمي، تبرز مؤسسات التعليم الديني بعنوان مصدق بارز للظاهرة، بعد أن فقدت - حديثاً - استقلاليتها التاريخية التي كانت تؤمن لها رفعتها.<sup>١</sup>

والحقيقة أنَّ وظيفة المنطق في تلك الحقول، هي من الأهمية والحساسية بحيث يحدث خلل عام على مستوى كل الحقل، كلما ضعف حضور الآلة المنطقية. ولنقدم، هنا، مثلاً واحداً، ولكنه في غاية المعتبرة: وهو مثال تمحیص الحديث الشريف.

فقد وقف بعض علماء المدينة المنورة مثل ربيعة الرأي (١٣٦هـ) والإمام مالك بن أنس (١٧٩هـ) مواقف شجاعة من المرويات تكشف عن حالة من الالتزام المنطقي التام<sup>٢</sup>. وبعد أن تطورت حركة التدوين برزت موجة التدقيق

<sup>١</sup>- المصدق الأبرز لفقدان الاستقلالية هو ما وقع لمؤسسة الأزهر الشريف في مصر، الذي اضطر لقبول عملية تسريح علمي ممنهج طيلة النصف الثاني من القرن المنصرم، رغم استقلاليته المطلقة. أما ما وقع في تونس، فهو كارثة ثقافية واجتماعية بالمعنى الكامل: فقد هلت مصادرة جميع أملاك المؤسسة الزيتونية والجمعية الخيرية التي ترعى طلابها، وحرمت إفريقيا من أكبر منارة علمية كانت تشع عليها.

وهذا هو أهم أسباب انتشار الفكر الحشوي الوارد من المشرق.

<sup>٢</sup>- سألي تفصيل الكلام عن التمنطق الأصولي في الفقه المدني في الجزء الثاني.

على المدونين: فما أن تسلح الدارقطني(386هـ) والحاكم النيسابوري(405هـ)، بسلاح النقد العقلي المعتمد على قواعد المتنطق، حتى تمكنا من لوج ساحة المراجعة العلمية من بابها الأوسع، فأسسوا علم تدقيق الحديث<sup>1</sup>. أما غيرهم ممن اشتهر على لسانهم ذم المتنطق، فلم يؤثر عنهم سوى التكرار والاجترار لما تركه علماء الأجيال السابقة!

#### 1.1.2. قوى الضغط السياسية وتأثيرها

لا شك في أن وقوع المؤسسات العلمية تحت هيمنة قوى سلطوية تعبر الاجتهاد في أي حقل من حقول العلم خطراً على مصالحها، جعل أهم منابع القدرة النقدية المشكلة ملقدمة الاجتهاد، وهو المتنطق، مستهدفاً بصفة خاصة.

ولهذا الاستهداف السياسي قصة قديمة في تاريخ أمتنا، دون أن يكون هذا من مختصاتها. فقد عانت بعض الأمم الأخرى التي ابتليت ببعض الأنظمة الإيديولوجية أو العنصرية، من هذه الظاهرة، أيضاً.<sup>2</sup>

والسبب الذي يجعل سلطة سياسية تشعر بالخوف من انتشار نظرية علمية ما أو رواج علم ما، يمكن أن يكون عائداً إلى رغبة حماية صرفة، وهي المحافظة على قاعدتها الإيديولوجية. وقد يعود إلى خشية من اكتشاف خلل ما في المنظومة الثقافية التي يرتكز عليها حكمها.

<sup>1</sup> من تطور علوم الحديث بأربعة مراحل: التدوين ثم تدقيق التدوين ثم جمع المصطلح وترتيبه ثم نقد المنشقون. وفي جميع هذه المراحل كان النجاح مرتهناً بالتنطق. وسيأتي بيان ذلك في الأجزاء اللاحقة.

<sup>2</sup> من آخر ما عرفته البشرية من اضطهاد سياسي لبعض العلوم، ما تعرض إليه علم الجينات في العهد الستاليني، وكذلك بعض النظريات الفيزيائية في العهد النازي في ألمانيا.

وفي صورة الحال، قد يتتعجب المطالع للتاريخ الإسلامي من وجود هيئة سياسية حاكمة في بلاد المسلمين، يمكن أن يزعجها علم المنطق أو يكدر صفوها. ويزداد هذا التعجب بعد الاطلاع على الموقع الوظيفي المتميز لهذا العلم ضمن المنظومة الفكرية الاتباعية، وهي المنظومة المحافظة بالضرورة.

ولكن، كما قال الأقدمون: إذا عُرف السبب زال العجب! فيكفي لفهم ذلك معرفة ما يمكن أن يهبه إتقان علم المنطق من قدرات نقدية وملكات اجتهادية للمحضّل، بحيث يخرج عن سيطرة المنظومة العلمية التي يراد له أن يكون بوقاً من أبواقها دون تجديد لا يمكن للحاكم التكهّن بما ينتجه من مواقف سياسية.

وهكذا يظهر المستهدف الحقيقي الذي يخشاه كل مستبدٌ، ولا يأمن جانبه ظالم أو خائن: الاجتهداد!

فكان تسطيح تدريس المنطق ، دون إلغائه، الحل الذي تسامم عليه أهل العلم من الذين كانوا يدارون خدمة الاستبداد ورعاة الانحطاط، طيلة القرون الوسطى الإسلامية.

\*\*\*\*

## ١.١.٢.٢. البحث الثاني

تجدد الحملة

على أصول الاجتهاد

### ١.١.٢.٢.١. السعي لابتزاز حظوظ التمكّن العلمي

لقد كان فقدان المؤسسات التعليمية الدينية، ثمّ غير الدينية، لاستقلاليتها في الفضاء العربي الإسلامي المعاصر معلولاً لصعود كتل حزبية وثقافية، إلى موقع التأثير والتوجيه والتحكم، حاملة برامج ثقافية تفسيحية ترنو إلى واحد من اتجاهين: إما تحقيق أغراض نخبة متغّبة. وإما خدمة منافع طبقة مرتجعة وماضوية.

فقد كان التنافس على أشدّه، في معظم بلدان العالم الإسلامي، بين هذين الاتجاهين، من أجل الهيمنة على موقع السيطرة الاجتماعية والضغط السياسي.

فكانَت حصيلة ذلك التنافس والصعود السياسي المزدوج، وقوّة المؤسسات التعليمية الشرعية، ثمّ ما وقع تأسيسه من جامعات عصرية، تحت نوعين من الضغوط: الأول: متمحور حول مقوله: مواكبة روح العصر تقتضي تغيير المناهج دون احتراز.

والثاني: متحمّل حول مقوله: إننا وجدنا آباءنا على أمّة وإننا على آثارهم مقتدون. فأصبحت حقول العلوم الإنسانية والاجتماعية والقانونية والشرعية مخزناً لتقنات منه حرّكتا التقليد والجمود: التغريبة والارتجاعية، وهذا هو التجسيد الأوضح لواقع التردي العلمي العام.

وحيث أنَّ كل هذا النشاط التفسيري لا يمكنه أن يحقق شيئاً من أغراضه في حضور عقليات نقدية حيَّة، فقد كان ضرب ملكة النقد والاجتهاد في شباب الأمّة، أول مهمة اضطُلَع بها رواد الحركتين التفسيريتين.

وتحت أحد العنوانين غير المشرفيَن: التغريب والمسخ الحضاري، أو الارتجاع الماضوي، اندرجت عدَّة مدارس وجامعات ومعاهد للتعليم الديني بالشرق الإسلامي، وكذلك جميع توابعها التعليمية، الرسمية وغير الرسمية التي ارتبطت بها، إما عبر التمويل وما يرافقه من البرامج والمقررات الدراسية، وإما من خلال التوجيه الإعلامي، عبر الفضائيات والشبكة الافتراضية العالمية.

ولم يكن كُل ذلك ليتحقق، لولا التمهيد له باستبعاد ممنهج لعلم المنطق عن موقع التأثير الفعال، سواء كان هذا الاستبعاد علينا وبعنوانه، أو خفيًا، تحت عناوين خداعية.

#### 1.1.2.2. اتجاهان متوازيان في ضرب المنطق

هناك اتجاهان تخريبيان قد عملا على ضرب أصول الاجتهاد بواسطة إضعاف موقع علم المنطق وتهبيش دوره على مستوى ضبط قواعد الاستنباط وإخراجها من مصادرات الذوق الشخصي للأجيال المستنبطية الأولى.

فاما الأول، فهو ذاك الذي يعمل مباشرة على إقصاء علم المتنطق بوصفه تراثاً يونانيا لا علاقة له بتراث السلف. فبما أن السلف الأول<sup>1</sup> لم يستغل بهذا العلم، فلا خير فيه، بل لعل كل الشر يكمن فيه، إذا اعتبر من البدع! وقد كان للمحدثين موقف تدور في ذلك هذا الرأي، إجمالاً. والذي عَبر عن موقف متจำก ورافض للمنتطق، واستطاع أن يورث عدداً من معاصرينا بعضاً من مقولاته، هو شيخ الإسلام ابن تيمية، الذي وجد حتى بين معاصرينا من العلمانيين من يتبنّى نظرته النقدية، ويدافع عنها بكل جدية<sup>2</sup>. والذي يهمّنا في هذه المحاولة النقدية الجادة، هو بعض نتائجها التي بدت للبعض مشجعاً كافياً للدفاع عنها بحماسة، وأهمّ هذه النتائج نسف منظومة الاستدلال البرهاني الذي يعتبره المناطقة زبدة الممحض المنشطي.

وبمجرد زعزعة أركان الصرح البرهاني، قد يُخيّل ملن يتربيص بالفلسفة الإلهية الدوائر أن أيامها قد أصبحت معدودة، وأنها باقية على وشك أن ترك الساحة إلى العقائد التجريبية التي لا تستنكف من الإقدام على الخطأ، وإن كان بشمن فقدان كل قداسة. فالمطلوب لدى أصحاب هذا المسعى هو نسف "المقدس" و"المستعلي"، وتعويضه بالاجتهداد البشري غير المقدس ولا المستعلي عن الفكر البشري، وذلك من أجل قطع الطريق أمام عودة كل شكل من أشكال الاستبداد الديني.

وهذا هو زبدة القول في ما يمكن عرضه في هذا المجال المختصر، حول حركة الضرب المباشر للمنتطق، بما هي هدم لأهم أركان الاجتهداد المقدس، لا بما هي تأسيس لاجتهداد مقدس من نوع ثان، هو ذاك المبني على الاستظهار

<sup>1</sup>- لاحظ أهم هذه الإشكالات والردود عليها في كتاب تدعيم المتنطق للأستاذ سعيد فوده، وفيه الكفاية للخروج بفكرة إيجابية عن المتنطق. أما النقد التحليلي الوظيفي للمنتطق بشكله اليوناني وغيره الذي سيأتي، فهو ما سيأتي في أبحاث الجزأين اللاحقين بإذن الله.

<sup>2</sup>- سوف يكون لهذا الموضوع مجال مناسب ضمن بحوث الجزء الثالث، بإذن من لا تنفسخ العزائم إلا بقدرتها.

الظني من النصوص المجتزأة عن سياقاتها، وهو ما تورّط فيه أهل الحديث، والخشوية خاصة.

وأمّا الاتجاه الثاني، فهو الاتجاه السياسي الممحض. ويهدف إلى إضعاف موقع المنطق وضرب ملكة الاجتهاد بداعي سياسي انحطاطي: فالمجتهد غير قابل للسيطرة والتوظيف الرخيص، عادة. لذا فإنّ المكر السياسي قد يحمل كل صاحب سلطة يخشى على موقعه من ظهور شخصية علمية تخرج عن السيطرة، على أن يكون حريصاً على جعل المؤسسات التعليمية تكرارية وغير منتجة لما يمكن أن يخرج عن السيطرة. وهذا الأمر ملحوظ، لا فقط في المؤسسات الدينية، بل لعله أكثروضوحاً في المؤسسات الأكاديمية الراعية للعلوم الاجتماعية والإنسانية. فترى تدريس بعض التخصصات ذات التأثير المباشر في السياسة، مثل الاقتصاد، خاضعاً لمجموعة قاسية من القيود الرقابية الخفية وغير المباشرة، التي قد تبدأ من انتداب أساتذة ملتزمين بهدارات فكرية معينة، وربما تنتهي إلى حذف بعض المواد الدراسية، إن لزم الأمر.

وكلّ هذا، لا يمكن أن يقر له قرار إلا في غياب تدريس جدي لعلم المنطق، أو لعلم مناهج البحث، وهو من تفريعاته الحديثة.

والحصيلة التي اجتمعت من آثار كلا الاتجاهين هي الحالة العلمية الرديئة التي أصبحت عليها مؤسساتنا العلمية الدينية والاجتماعية والإنسانية خاصة. لكنّ أخطر ما في هذه الرداءة العامة والانهيار العلمي الشنيع، هو ما يرتبط بالشرع والدين الحنيف، خاصة عندما يكون في متن النشاط السياسي، لا في هامشه.

وللمزيد من التوضيح لخطورة هذا الانهيار، نقرر في الفصل الآتي ثلاثة أمثلة معبرة عن جوانب مختلفة من المشهد المنطقي العام الموسوم بالقتامة، والمطبّق على الساحة الثقافية الإسلامية خاصة.

## 1.2. الفصل الثاني

### ظاهرة القصور المنطقي وخطّة العلاج والتحيّن

\*\*\*\*



## ١.٢.١. المبحث الأول

### تحليل أولي للقصور المنطقية

\*\*\*\*

## ١.٢.١.١. البحث الأول

تدعيم فزاعة الإسلام

بتغريب التحصين المنطقى

### ١.١.١.١. نمودجية سلوك بعض الجماعات

إذا أردت أن تحلل ظاهرة اجتماعية أو ثقافية غريبة لا يُعرف لوجودها مبرر مصلحي، فعليك أن تبحث في أعماق المصالح السياسية المتتشابكة. فكثيراً ما يكون التفسير سياسياً وفي غاية البساطة.

والمثال الأول الذي نريد عرضه بوصفه تجسيداً لخطورة السقوط المنطقى العام، هو ظاهرة قد فرضت نفسها على الساحة السياسية الإسلامية أكثر من

عقد كامل: إنّه سلوك بعض الجماعات الإسلامية في أفغانستان، حين تمكّنت من بسط نفوذها على البلاد وتحويلها إلى إمارة إسلامية سنة 1996.

فقد بادرت هذه الجماعات، بعد إعلانها تأسيس دولة إسلامية ترفع شعار تطبيق الشريعة، ومبادئها زعيمها أميراً للمؤمنين، إلى ارتكاب عمل استفزّ مشاعر المليارات من البشر: تدمير آثار تاريخية تعود إلى عهد ما قبل الإسلام، بدعوى أنها أصنام وأوثان! وهذه الآثار، في الحقيقة، كانت نقوشاً بارزةً تجسّد صوراً عملاقةً لبوداً قد نحتت في صخر الجبل، بمنطقة باميان الأفغانية التي لا يسكنها سوى المسلمين.

#### \* تدعيم التخويف من الإسلام

يقطع النظر عن نية هؤلاء "الداعية"، فقد كان تفجير تلك التماثيل العملاقة التي تعتبرها اليونسكو تراثاً إنسانياً، فرصة لأعداء المسلمين والطامعين في نهب خيراتهم، لإبراز الإسلام بوصفه الخطر الداهم الجديد على الحضارة البشرية، بعد سقوط الاتحاد السوفييتي وتلاشي الخطر الشيوعي المزعوم الذي طالما لوحّت به وسائل دعاية القوى الرأسمالية لجلب تعاطف البسطاء في كل أنحاء المعمورة.

والحقيقة أن فقدان وسائل الدعاية الأمريكية، والغربيّة بوجهٍ أعمّ، لفرزاعة "الخطر الشيوعي على الكرامة البشرية والحرّية"، التي كانت تبرّر بها استمرار النهب الرأسمالي للعالم، قد أوجّد لديها فراغاً تعويّياً عملت على تلقيه بسرعة.

## \* حاجة الغرب إلى فراغة جديدة

منذ بداية تسعينيات القرن الماضي، وظهور بوادر التفسّخ النهائى للمنظومة الاشتراكية في أوروبا الشرقية، بدأت وسائل الإعلام تُظهر للعالم نظريات صراعية<sup>1</sup> تبرر ما كانوا يرمون إلى فرضه كواقع دعائى جديد، وهو تحويل الإسلام إلى فراغة جديدة تحل محل الشيوعية في استفزاز حركة التعبئة الإعلامية المتواصلة التي تستفيد من غياب كل شكل من أشكال التحصين المنطقي عن جماهير الغرب الرأسمالي، بل حتى عن القسم الأعظم من نخبته<sup>2</sup>.

### 1.1.2. ماذا وراء مزایادات الجماعات المعاصرة؟

إن جماعة طالبان، وهي الجماعة المقصودة، قد أقدمت، بصنعها ذاك، على ما لم يُقدم عليه الفاتحون الأوائل في القرن الأول للهجرة، وفيهم السلف الصالح الذين لا يشك أحد في غيرتهم على الدين، ولا يزيد في ذلك عليهم مزايدا! فهل كان فهم شباب جماعة طالبان ومشايختها للشريعة الإسلامية، حين دمروا تماثيل جبلية عملاقة لبودا رغم افتقادها لأى اعتبار ديني لدى مجاوريها المسلمين، أقرب إلى الصواب من فهم السلف الصالح حين فتحوا تلك البلاد؟

<sup>1</sup> لاحظ مثلاً أعمال فرنسيس فوكو ياما وبرنارد لويس وصموئيل هنتنغتون.

<sup>2</sup> لا شك أن عملية التجفيف المنطقي الممنهج قد بدأت منذ قرون عديدة في أوروبا. وكان روادها الأوائل منظري الرأسمالية الليبرالية الذين خلقو منظري الرأسمالية المركانستيلية في الريادة الفكرية على الغرب الصناعي منذ القرن الثامن عشر.

وهل كان هذا الوهم المتعارض مع أوليات المنهج السلفي الذي يدعون الانتساب إليه، هو السبب في كونهم سلوكاً مغايراً للسلف، ولم يقتفيوا أثر الفاتحين الأوائل، رغم أنه قد كان لدى أولئك السلف أسباباً أقوى للقيام بمثل هذا "التطهير من الأوثان"، مثل قرب عهد الأهالي الداخلين حديثاً في الإسلام بعبادة تلك الأصنام، والخشية من ارتدادهم؟

### \* رد ساذج وجواب واضح

إن قالوا: ليس سلوك الفاتحين بحجّة، والنوصوص حجّة عليهم؛  
لنا أن نردّ: كيف غاب عنهم أن مثل هذه المسألة كانت من أول ما ابتكى به الصحابة  
في عهد الراشدين، إبان فتح فارس ومصر، ولم يختلفوا في حلها. فكيف غفل مشايخ  
طالبان عن المغزى التشريري لإبقاء الخليفة الراشد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه  
على تماثيل مصر القديمة، كأبي الهول وغيره، حين فتح مصر، بعد أن استقصى عن حال  
أهل تلك البلاد، وعرف أنه لم تبق لتلك الآثار الفرعونية أية قداسة عند المصريين، بل لم  
يعد لها أي شأن تعبدّي لديهم!

أو ليست موافقة جميع الصحابة لما ذهب إليه خليفة المسلمين عمر رضي الله  
عنه، إجماعاً استند إليه الفاتحون بلاد الأفغان وبلاد السندي، بعد أكثر من نصف قرن من  
فتح مصر؟

بقطع النظر عن الخلقيّة السياسيّة التي حرّكت الامررين الحقيقين بذلك التدمير  
الذى لا مبرر له شرعاً، فإن ما فعله مقاتلو طالبان، وتعاملهم الانفعالي السطحي مع  
تماثيل بوذا، يعبر عن سطحية ذهنية تحجب عن صاحبها ما في هذا الصنيع من مزايدة  
على السلف الصالح!

### \* نتيجة طبيعية لغياب التحصين المنطقي

إن الواقع في مثل هذه المزايدة، يكشف عن تمكّن نصوصي سطحي بأحكام لا يستطيعون التحقق من مناسبتها لموضوعات الحال. وهو تعاطٌ سطحي لا أثر فيه للتحصين المنطقي الذي لا يجوز أن يغيب عن ساحة الاستنباط الفقهي، خاصة في الإطار الأصولي للمدرسة الفقهية الحنفية التي يفترض أن ينتمي إليها مسلمو تلك البلاد.

ويفعل هذا التسطيح العلمي، كان من السهل على بعض السياسيين الدهاء، تحريك هذه الجماعة واستغلال عاطفتها الدينية للقيام بذلك العمل الذي يشوه الإسلام بشيطنة المسلمين، وهو الأمر الذي نجحوا فيه نجاحاً باهراً. فكان هذا النجاح الإعلامي مشجعاً للدّوائر الاستعمارية على المزيد من الاستثمار في الحماسة الغبية لجيل كامل من فاقدِي التحصين المنطقي.

\*\*\*\*

## ١.٢.١. البحث الثاني

### حول الفصوص المنطقية ووظيفتها السياسي

#### ١.٢.١.١. الردّاءة المنطقية وإيقاد الفتنة الطائفية

لا يمكن للمشروع الاستعماري أن يستمر في نهب خيرات المسلمين، إذا كان هناك، في الأفق القريب، إمكانية لظهور قوى اقتصادية إسلامية كبيرة تأخذ بزمام المبادرة وقناع الأجنبي من المستمرار في عمليتي الغصب والغبن الممنهجتين اللتين تؤمنان دعومه تفوقه على المسلمين.

لذا، فقد كان نجاح اثنين من أهم شعوب العالم الإسلامي، وهما شعباً تركيا وإيران، في إطلاق عملية بناء اقتصادي وعلمي وتكنولوجي واحدة، مع التباين بينهما في الأنظمة والاختيارات السياسية التكتيكية، منذراً بانهيار وشيك لمنظومة الغصب والغبن التي يتمويل منها الاستعماريون الجدد في المنطقة. فاعتبروا كلتا الظاهرتين التنمويتين خطراً على مصالحهم، بل حتى على وجودهم لو نجحتا في التقارب وتوحدتهما.

وبعد دراسة مستفيضة وعميقة لواقع المنطقة وتاريخها، وصل الاستعماريون إلى تشخيص نقطة الضعف الأخطر في الكيان الإسلامي الكبير: القنابل الموقوتة التي تمثلها الطوائف والعرافات المذهبية النائمة.

ومم يكن أئمـاء الأمة، لتحقيق مآربـهم التفسـيخية، سـوى إيقـاظ تلك الفتـنـ النـائـمةـ. لكنـ كانـ عـلـيـهـمـ -أيـضاـ- تحـيـيدـ العـاـمـلـ الـوـحـدـويـ الـوـحـيـدـ الـذـيـ

كان بإمكانه تعطيل عملية تفجير التناقضات: المنهج العقلي، وقد ساعد انتشار المنهج الحشوي ورواج سوق المحدثين المعادين للمنطق تقليداً لشيخ الإسلام ابن تيمية، في تسطيح أذهان الشباب المنتسب إلى بعض مدارس أهل السنة والجماعة، حتى خيّل للكثيرين أنه لم يبق من متارس لعلم المنطق سوى بعض الحصون الأشعرية هنا وهناك. أما على الضفة الأخرى من نهر الثقافة العربية الإسلامية، وفي الفضاء الثقافي الشيعي، فقد كانت هناك تقاليد قدية من الاحترام للفلسفة وللمنطق، خيّل لبعض المتفائلين أنها كافية لمنع الانهيار السريع لتحصينات علم المنطق أمام الموجة الإغبارية الكاسحة التي عادت لتملاً الفضاء الديني الشيعي بشتى أنواع المزايدة الرفضوية.<sup>1</sup> فكان على أعداء الأمة التحايّل على هذا الفضاء بإحداث اختراق مناهجي يسحب البساط من تحت أقدام العقليين والمناطقة، ويجعل قيادة كل الطائفة الشيعية في أيدي غلاة الروافض ومحدثيهم<sup>2</sup>!

ولم يكن ذلك ليتيسر إلا عبر ضرب المنهج العقلي الذي كان يتبناه الشريف المرتضى(436هـ)، والتمكين المطلق للمنهج الأخباري الذي أسسه محدثو البوهيميين في القرنين الرابع والخامس.<sup>3</sup>

<sup>١</sup>- لأن حركة الرفض التاريخية، وهي التي تقتصر على البراءة من الشيختين، لم تكن كافية لإشعال نيران الفتنة، فأؤخذ أذناب الاستعمار مشعل الفتنة بالمزایدة على الروافض، فخرج علينا جيل جديد من الرفضيين (المزايدين في الرفض) الذين لم يكتفوا بکفريات أسلافهم، بل أضافوا شناعات لا يمكن لأى مسلم السكوت عليها.

<sup>٣</sup>- كان محمد بن يعقوب الكليني صاحب كتاب الكافي(329هـ) أول المحدثين الذين أسروا هذا الأنشقاق. واستمر بعده أبنا بابويه (الأب(329هـ) والبن(381هـ)، وجعفر بن قولويه(368هـ)، ثم ختم محمد بن حسن الطوسي(460هـ) سلسلة اطنشقين، فأصبح يعرف بشيخ الطائفة.

فكان حصيلة هذا الاختراق، ضرب المنهج العقلي الأصولي<sup>١</sup>، وتهميشه أداته الأولى، أي: علم المنطق!

من هنا، فإنّ المثال الثاني الذي نسوقه في هذا البحث، لا يقلّ عن سابقه وضوها في التعبير عن هول الانهيار المنطقي الذي شهدته كثير من المدارس المشرقة، بمختلف مذاهبها. وهو يحكي عن ظاهرة حشو مجالس العزاء الحسيني بالروايات المناافية للعقل والمنطق. وهذه الظاهرة شديدة الرواج في الأوساط الشيعية العلمائية، وليس فقط العالمية. والمثير حقاً هو اعتماد خطباء هذه المئابر والمبليغين، على روايات وأخبار لا يجوز لهم، بحسب مشهور مذهبهم، ترتيب الآثار العقائدية عليها.

واللافت للنظر، أنّ جميع من يعتدّ بقولهم من علماء هذه الطائفة، يسلمون بأنّ تلك الأخبار ضعيفة ولا حجية لها. مع ذلك، ترى أولئك المبلغين يصرّون على توظيفها في تعبئة الجماهير حول شعارات وقضايا كثيرة ما لا يكون لها أساس من الصحة، فلا تسمع اعتراضاً ولا استنكاراً من علماء الطائفة، وإن تجرأ أحد على ذلك، فالويل له من غضب العوام!

ومما يستفز العقل، وربما يخرج الحليم عن وقاره، أنك ترى بعض هؤلاء المبلغين يُصوّرون لسامعيهم مواقف ومشاهد خيالية لا تصمد أمام أية محاكمة منطقية. ومثال ذلك ما يرويه خطباء المراسم الحسينية من أقوال وأفعال منسوبة إلى أكابر أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، فيزعمون صدورها عنهم يوم

<sup>١</sup> يظهر هذا الضرب، في عصرنا، في خنق كل نفس يدعو للإصلاح أو المراجعة التاريخية، كما كان حال المرحوم محمد حسين فضل الله، الذي ردّ الروايات التي تدين بعض الصحابة، ودعى إلى تجديد النظر في بعض المفاهيم المستندة إلى الروايات والمناقضة للقرآن الكريم، وكذلك محمد باقر البهبودي الذي دعا إلى تطهير كتاب الحديث الشيعية من الموضوعات، وشرع في ذلك فعلاً.

عاشوراء، وينقلون كل ذلك بأدق التفاصيل المروية عن حميد بن مسلم، الذي كان جندياً في صفوف الجيش الأموي، وكان يستحيل عليه أن يسمع ما كان يدور من أحاديث داخل خيام معسكر الحسين رضي الله عنه، لأنَّ هذا المعسكر كان يبعد عن الجيش الأموي مسافة كافية لجعل مثل ذلك الاستماع المزعوم مستحيلاً! وقس على ذلك مما لو تأمل فيه السامع لغلب عليه الشعور بالاشتباز.

### ١.٢.٢. الفضائيات والتسطيح المنطقي

المثال الثالث لمظاهر التسطيح المنطقي، هو الذي نجد تجسيده الواضح في ظاهرة ضعف التكوين العلمي الشرعي لدى كثير من مشاهير الخطابة الدينية. وهي ظاهرة منتشرة بين دعاة وخطباء الفضائيات الذين قد لا تخترهم الجهات الراعية لهذه الأجهزة الإعلامية إلاً لمواهبيهم الخطابية ولقدراتهم الفائقة على التأثير في المشاهدين وتجييشهم ثم توجيههم نحو الاتجاه المطلوب سياسياً، في الوقت المناسب.

ولهذا السبب، من الطبيعي أن تذهب الكفاءة العلمية ضحية لأولوية القدرات الخطابية. فلا يندر أن يطلع علينا بعض هؤلاء الدعاة الإعلاميين بفتاوي مستندة إلى استدلالات في غاية الضعف تعكس حالة خطيرة من التهافت المنطقي.

ونكتفي، هنا، بنموذجين من هذه الفتاوي، وكلاهما قد صدر من داعية إعلامي، يُزعم أنه قد وظفته جهة سياسية، يبدو أنها كانت على عجلة من أمرها، فأقلت به إلى الساحة الإعلامية، حرضاً على ملء فراغ كان يُخشى أن يستغله خصومها:

**فاما الأول:** فهو الاستدلال على بطلان زراعة عضو من ميت في جسد حي، بالحديث المشهور الذي مفاده أنَّ "كسر عظم الميت مثل كسر عظم الحي".

فبقطع النظر عن ضعف سند هذا الحديث<sup>1</sup> وسقوط حججته<sup>2</sup>، وهو أمر خارج عن محل بحثنا، فإن في الاستدلال بهذا الحديث عدّة مغالطات منطقية ليس لأي طالب متوسط أن يقع في ارتكابها؛ ومنها: خروج الحديث عن محل النزاع، لأن غاية ما يدل عليه هو تحريم العدوان على الميت. فلا شك في جواز كسر عظم الحي من غير عدوان، كما لو كان ذلك لاستئصال ورم خبيث، أو نحوه. وهناك نكات أخرى كثيرة تبطل الاستدلال بهذا الحديث، فتأمل، ول يكن المنطق وحده مساعداً وعوناً في البحث!

وأما الثاني: فهو الاستدلال على حرمة قراءة القرآن على الميت، بقوله تعالى: {لَيُذَرَّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ} [يس: 70]

وقد غاب عن المستدل بهذه الآية أنها خارجة عن محل النزاع، لأن محل النزاع ليس الإنذار، فمن الطبيعي أن الإنذار لا يكون ملبياً، بل هو قراءة القرآن رجاء وصول ثوابه إلى الميت!

والحقيقة أن بعض الفضائيات، هذه الأيام، تعول على ضعف مشاهديها، وعلى خلوّهم من كل ثقافة شرعية أو منطقية تمكّنهم من كشف مثل هذه الأخطاء الفادحة. ومثل هذه السقطات الاستدلالية تكشف فداحة الخطب، وتبرز، لكل ذي لب، بشاعة الانهيار المنطقي الذي أصاب الساحة الفقهية الرازحة تحت نير الاستلاب الثقافي والسياسي<sup>3</sup>.

\*\*\*\*

<sup>1</sup>- هذا الحديث ضعيف بسعد بن سعيد الأنصاري. أما نصه، كما نقله ابن حزم، فهو: "كسر عظم الميت ككسره حيّا".

<sup>2</sup>- لاحظ المعلّى لابن حزم ج 11، ص 40.

<sup>3</sup>- للتاريخ، لا بأس بالذكر بأن هذه الوضعية كانت متوقعة منذ أكثر من عقدين، وقد كنا أشرنا إليها بوضوح في عدة مقالات ضمن الأعداد 25 و26 و27. سنتي: 2002 و2003، من نشرية المجدد (لاحظ المجلد الخامس من مجلدات المجدد، دار المتوسط الجديد، تونس 2010).

## ١. ٢. ٢. المبحث الثاني

نحو تحليل موضوعي

للقصور المنطقي

\*\*\*\*

### ١. ٢. ١. البحث الأول

حول عموم القصور

#### ١. ٢. ٢. ١. تساؤلات حول أصل القصور

إنّ جميع ما تقدّم من أمثلة على الانهيار العام الذي تشهده الوظيفة المنطقية ضمن مجالها الطبيعي، وهو تحصين المعرفة والتحصيل والتفكير من غلبة الوهم والمغالطة، إنما يعبر عن حالة من القصور الوظيفي العلاني للألة الذهنية المستعملة فعلاً، وهي التي يفترض أنها ذات دور تعيني في مسيرة الفكر البشري.

والسؤال الذي يُطرح بقوة، هنا، هو:

هل يمكن الجزم بأنّ القصور في الآلة نفسها؟

أم هو في مستعملها الذي لم يتقن التمرس بها والتدريب عليها؟

أم هو في كلا الأمرين معاً؟

وهذا ما يدعو إلى التحقيق الموضوعي في كلا بعدي المسألة: الكفاية الذاتية للآلية المنطقية، من جهة، وكفاية مناهج تعليم المنطق والتعمير بقواعد باعتبارها عناصر متكاملة لآلية تحصين التفكير، من جهة أخرى.

وب قبل الغوض في هذا التحليل، لا بد من البت في مسألة مناهجية هامة: فلا بد من إثبات خضوع جميع الفضاءات العلمية ذات الوظائف المتجلسة، مثل العلوم الشرعية والإنسانية والاجتماعية، لمؤثرات متجلسة، إن لم تكن متماثلة. وهذا ما يمكن تلخيصه في دعوى: عموم البلوى بالرداءة المنطقية.

#### 1.1.2.2. عموم البلوى بالرداءة المنطقية

من الضروري التأكيد على ما تقدمت الإشارة إليه في بحث آنف، وهو كون إثبات صفة الرداءة وغليتها على منطق كثير من المتشربة والدعاة وسائر المشغلين بالشأن الديني، لا ينفي رداءة موازية، لا تقل عنها خطرا، قد أداخت بكلها على الفضاءات الأكاديمية التي تنافس الفضاء الديني في اجتذاب الفعاليات الشبابية الاجتماعية، نظير: الفضاءين الأكاديمي والثقافي للعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية.

لكن، حيث كان لبحث هذه الظواهر الموازية مجاله المناسب ضمن مجموعات دراسية وبحثية أخرى<sup>1</sup>، فلن نخوض في شأنها، هنا. ونكتفي بالذكر بكون واقع الرداءة المنطقية العامة ناتجا عن عملية منهجية لتسطيع المناهج الدراسية على جميع مستويات التعليم: من الابتدائي إلى

---

<sup>1</sup>- لاحظ، مثلا، ما يصدر ضمن سلسلتي: "منهجية التفكير الاقتصادي" و"تأملات اقتصادية".

الإعدادي فإلى الثانوي. ففي إطار هذه البرامج الجديدة، لا يصل الطالب إلى المراحل الجامعية مسلحاً بملكة نقدية كافية ليأخذ بزمام المبادرة التحصيلية، فيرفع من مستوى تحصيله العلمي بالاعتماد على المراجع العديدة والمتنوعة التي عادة ما يكون كل درس جامعي مشيراً إليها.

وإن فقدان هذه الملكة لهو العامل الرئيسي الذي فتح المجال لتخرّج أجيال من حاملي الإجازات، بل حتّى من حملة الماجستير، بمستوى علمي لا يفوق مستوى تلاميذ الثانوي قبل أربعين عاماً، أي: ليس لهم من الزاد إلّا ما أخذوه بواسطة ملازم دراسية مختصرة لا تخوّل لحافظها شيئاً ذا بال من التمكّن العلمي المطلوب من متخرّج جامعي! ولا يخفى أنّ موقع المتنطق من وضعية الرداءة العامة هذه، كموقع الملح من الطعام! فكل ضعف في ملكة النقد يخفي وراءه وجهاً من وجوه الضعف المتنطقي.

\*\*\*\*

## 1.2.2. البحث الثاني

### وجهان للقصور الوظيفي

#### 1.2.2.1. القصور التعليمي

إنَّ ما أشيرَ إليه من الضعف في التكوين المنطقي ناشئٌ من أحد سببين: إما من جهل المحصل ببعض المقاطع الأساسية في المادة العلمية المنطقية المتاحة. وهذا هو القصور التعليمي. وإنما من قصور علاني ذاتي في بعض مقاطع هذه المادة. وهذا هو القصور الملاهي العلمي.

فالمسألة، إذن، ذات وجهين: جهل ببعض ما هو مقرر ومحقق من قواعد المنطق، من جهة، وقصور ذاتي للمادة المنطقية المتاحة فعلياً، من جهة أخرى. ولكي يكون العمل في اتجاه تصحيح الأوضاع مجدياً ومثمراً للمراد، لا بدَّ من وضع كل واحد من السببين موضعه من الاقتضاء، ومحاولة الاستجابة لدعائهما معاً. وقد وصلنا إلى هذه النتيجة، بعد تقييم الوضع الأكاديمي لمادة علم المنطق<sup>1</sup>: حيث اتضح، بما لا يدع مجالاً للشك، أنَّ قدم المقررات الدراسية

---

<sup>1</sup>- أمكن الحصول على هذا التقييم من خلال تجربة أربعة عقود من الدراسة والتدريس والبحث العلمي والإشراف البيداغوجي على البحث العلمي في عدّة جامعات ومدارس شرعية ومتخصصة دراسية، وخاصة خلال دورات تدريس للعلوم الشرعية لطلاب مرحلتي الإجازة والدراسات العليا، وبالأخذ بدورات أصول الفقه والفلسفة الإسلامية والكلام بقسميه: التقديم والجديد.

مادة المتنطق و حاجتها الأكيدة إلى التحقيقين، علاوة على عقم الأساليب التدريسية التي زادت طينها بلة، مما حكم على طلاب العلوم الإنسانية والاجتماعية والشرعية بالضعف الم المشار إليه، وبفقدان الملكة النقدية، ومن ثم بالاستعداد الكامل لتلقى ما يُلقي إليهم من وصفات جاهزة ليس لهم من دور سوى تردیدها وترويجها.

وقد كانت الأفواج المتخرجة خلال العشرية الماضية من أضعف ما عرفه الساحة الإسلامية في تاريخها! وقد استوى في هذا الضعف خريجو الجامعات مع خريجي المدارس الشرعية من الدعاة والمبلغين والمتشرعة.

فكان من نتائج هذا الوضع أن يصبح هذا الجيل من المثقفين والمبلغين والدعاة الشباب أدأة تتلاعب بها بعض القوى السياسية المنتفذة محلياً وعالمياً. فجعلت منهم أدوات فتنية هوجاء أحرقت الأخضر واليابس في المشرق الأوسط، بعد أن هددت المغرب الإسلامي.

#### ١.٢.٢.٢. القصور الذاتي في الميراث المتنطي

حتى يكون تحليل الظاهرة جاماً، لا بدّ من الإشارة إلى البعد الثاني في حالة القصور المتنطي، أي: القصور الذاتي المماهوي للميراث العلمي المتنطي المتاح فعلياً للتدريس. فعلاوة على البعد السياسي الذي حدا ببعض المؤسسات التعليمية إلى تهميش دراسة المتنطق، فإنّ هناك بعضاً علمياً ذاتياً بالغ الأهمية، ويتمثل في صعوبة هضم الكثير مما تحتويه المصنفات القديمة المختلفة من عناصر عتيقة ومحفظة براهنيتها، أو عناصر تجاوزها الزمن وتحتاج-عامة- إلى مراجعة.

إضافة إلى ذلك، فإن طفرة المصطلحات الفلسفية والاجتماعية الحديثة التي شغلت الأذهان، قد جعلت التعامل بين نخبة الطلاب المستويين بعلوم العصر ومادة المنطق، كما هي مدونة في مصنفات القدماء ومقلديهم من المعاصرين، معرضًا لمؤثرات سلبية عديدة.

وكل هذا الوضع قد أنتج حالة من العزوف، المطلق أو النسبي، عن دراسة علم المنطق. وربما يستسهل أحد الجامعيين الأمر فيعتقد أنه في غنى عن تلك الدراسة، وأن له في ما قد درسه ضمن علم الرياضيات ما يكفيه حاجته من تحسين التفكير. ولا يخفى أن هذا النوع من "الاكتفاء" لا يزيد عن كونه من الجهل المركب الذي ربما قضى على حظوظ حامله في الانتباه واليقظة.

والحاصل هو أن الذي ظل موضوعاً للشكوى المتتجدد من قبل دارسي هذا الفن، هو غياب تجديد في مناهج تعليمه يمكن أن يساعد على هضم جميع عناصر هذه المادة دون عناء قد يكون مثبطاً للعزائم.

وحيث أن هذا التجدد في التحديات المطروحة لا يتتجاوز الشكل إلا نادراً، فإن المهمة المطروحة يلحاح، حالياً، هي تأمين هذا المقدار من التجدد في منهاج دراسة علم المنطق. وهذا هو مغزى استعمالنا لمصطلح "التحيين"، بدلاً عن "التغيير" أو "التجديد". فالهدف هو تلبية حاجة علمية وبيداغوجية راهنة، بالاستفادة من إرث علمي يحتاج إلى بعض التنقيحات الشكلية والارتباطية، وقليل جدًا من الإضافات الملاهوية.



### **1.2.3. المبحث الثالث**

#### **التحيين المتعين للمنطق**

\*\*\*\*

### **1.2.1. البحث الأول**

#### **هيكلية التحيين ومخاطبيه**

### **1.2.1.1. الخطوط العريضة للعملية**

ما تقدم، توضح ضرورة تحيين جميع المقررات الدراسية لعلم المنطق، في جميع مستويات دراسته: التمهيدية والوسطية والمعمقة، لتكون مستجيبة لدعائي التجديد الشكلي والارتباطي والماهوي.

فأما المستويان الأولان، فهما يجتمعان في المستوى البيداغوجي خاصة، والتعليمي عامة. وربما يتبادر للأذهان أن العمل على هذا المستوى يجب أن يكون في شوط أول. وأما المستوى الماهوي، فهو متبلور تحت العنوان العلمي العام. وربما يتبادر جواز تأخير العمل على هذا المستوى إلى شوط ثان من التحيين.

بهذا التفصيل، تبدو خارطة طريق التحizin المتعين في هذا العصر مشتملة على مستويات ثلاثة من التحizin: الماهوي والشكلي والارتباطي، وعلى مستويات ثلاثة من تعقيد متعلق التحizin، أي المادّة العلمية المراد تحizينها: مقدمة ومتوسط وعمق.

#### \* استبعاد ترتيب أشواط التحizin

إن الترتيب بين أشواط تنفيذ التحizin المشار إليه، أمر لا مناص من مراجعته. وبوضعيه على محك الحاجة العملانية الإجرائية التي يفرضها واقع التطبيق، يتضح تعين استبعاده.

والسبب في هذا الاستبعاد أن الترتيب النظري المقترن، وإن كان جذاباً ومغرياً، لا طائل تحته، بل لا حظ له من النجاعة.

وما ينكشف بأدنى تأمل في الساحة العلمية الأكاديمية، واحتياجاتها العملية البيداغوجية، هو صعوبة تحقيق أي تقدّم على المستوى البيداغوجي العام مع المحافظة على المادّة العلمية الاتباعية. فالكثير من هذه المادّة أبي عن المنهجة البيداغوجية الشاملة، وإن كان بعض مكوناتها قابلاً مثل هذه المعالجة الشكلية والارتباطية.

فينتتج عن هذا، وجوب الشروع عملياً في التحizin على كلاً المستويين: البيداغوجي التعليمي والماهوي العلمي.

#### \* تقديم الاختيار الوسطي

حيث أن العمل على مستويات التعقيد الثلاثة يتطلب مجالاً غير متاح، فقد تعين، في خطوة أولى، التقدم على مستوى وسيط بين المراحلتين المقدمة التمهيدية والمعمقة.

فمتعلق التخيين الذي نطعم إليه<sup>١</sup>، هو المادة العلمية المتوسطة؛ فلا هو بالمعنى المختصر المخل، ولا بالمعنى الوافي بكل الأغراض على تنوعها واتساع نطاقها.

وهذا الاختيار الوسطي لا يمكنه أن يسد جميع الحاجات الأكاديمية للمستوى الأعلى من دراسة المتنطق؛ لكنه يسعى لسد الحاجات التخيينية الخاصة لهذا المستوى، وإن لم يكن مشتملاً على بعض البحوث الاتباعية التقليدية التي يجدها المحصل في المتون المفضلة الاتباعية، مثل منطق الإشارات لأبي علي بن سينا<sup>٢</sup>.

### ١.٢.٣.٢. اقتضاءات طيف المخاطبين

لم يكن سبب اختيار المستوى الوسطي للمادة المحيّنة، مجرد محاسبات نظرية مبنية على استقراءات ناقصة، كما هي عادة كل البرامج التطويرية. فقد كان لهذا المشروع فرصة فريدة لينبع من قلب الواقع الأكاديمي بكل تنوعه واختلافات عناصره؛ لأنه وليد تجارب متعددة ومختلفة شكلًا ومضمونًا ومتفاوتة في ظرفها الزماني والملكياني. لهذا، فالمشروع التخييني المقترن يزعم تلبية الحد الأقصى الممكن في مثل ظرفه من الحاجات الواقعية للساحة العلمية المتنطقية عامة.

ويمكن تقسيم هذه الحاجات بحسب المخاطبين إلى قسمين كبيرين، تُوجَد بينهما أقسام عديدة تجمع بين بعض خصائص، كل منها:

**الأول:** حاجات طلاب العلوم الشرعية ذات الغلبة النقلية؛ مثل: الفقه وأصوله وعلوم القرآن وعلوم الحديث والسيرة والتراجم والتاريخ الإسلامي، وما يتفرع عن هذه العناوين الكلية من فروع علمية كثيرة.

<sup>١</sup>- تشكل دوراتنا الدراسية المنشورة على الشبكة الالكترونية جزءاً من مادة هذا المشروع المعنون بـ"المتنطق المحنين". وسيأتي عرض هذا المشروع إثر هذه المجموعة التمهيدية (بداية تخيين المتنطق).

<sup>٢</sup>- يمكن الرجوع إلى الكتاب الأول من الإشارات والتنبيهات لأبي علي بن سينا.

والثاني: حاجات طلاب العلوم العقلية؛ مثل: علم الكلام والفلسفة الإلهية والحساب والفلك. فكل من هذين الفضائيين العلميين اقتضاءاته الخاصة، والتحيّن المطلوب يجب أن يلاحظها جميّعاً.

والحقيقة أن المخاطبين بمشروع "المنطق المحيّن" هم أوسع دائرة من محصلي هذين الجنسين من العلوم، بل هم طيف واسع يشملهما وتدرج مراتبه بينهما. ويتوارد في مختلف مراتبه طلاب علوم عديدة تبني المسلكين: العقلي والنطقي، وهي طيف المناهج النصوصية العقلية. فكل الأصناف المتوزعة في ذلك الطيف هي من مخاطبي مشروع تحيّن المنطق، وتتجدد منهاجه الدراسى. مع هذا، فإن المخاطبين المنتسبين إلى القسمين المذكورين يمثلون أهدافاً قياسية لا بدّ من تركيز النظر عليها، كل قسم على حدة.

#### \* محصلو العلوم الشرعية واقتضاءات دراستهم

لا شك أن لدراسة العلوم الشرعية المحضة اقتضاها الخاصة. وتتوضح هذه الاقتضايات بتوضيح مصطلح: "العلوم الشرعية". فمصطلح "شرعى" يقصد منه "الصادر عن الشارع والواصل إلى المكلفين بواسطة نقل الرسل والرواة الناقلين عنهم". فالعلوم الشرعية نقلية بدرجة أولى، وإن كان بعضها معقولاً<sup>١</sup>، أي: منقولاً بواسطة الرسول الباطني الذي هو العقل البشري.

وإذا اتضح هذا المعنى، كان اقتضاوه الأول في حقل تحيّن المنطق هو ضرورة إحراز أكثر ما يمكن من الضمانات المنطقية لوقاية المنقولات من التحرير ومن تسرب الدس والتدايس إليها.

فتحيّن المنطق، من حيث كونه يهدف إلى إحياء دوره القياسي المسلم منذ بداية تدوينه والمتجسد في صيانة كل تفكير بشري من الوقوع في الخطأ

---

<sup>١</sup>- المعقول: هو ما يصل إليه العقل ويكتشفه، بينما المتعقل هو الذي ينتجه العقل بالتكلف.

والوهم، لا بد أن يكون معيناً، بما فيه الكفاية، للمتعاملين مع العلوم النقلية على وقاية منقولاتهم من كل تلك الأخطار.

وتجسيداً لهذا المسعى، كان على مشروع التحبيين أن يشتمل على إضافات جوهيرية ماهوية هي غائبة تماماً عن مدونات المتنطق التراثية المتداولة. وهي تشتمل على كل ما يحتاجه المحصل الشرعي من مقدمات لتحقیص تحصیله من أخطر أنواع الانزلاق المتنطيقي التي طالما عصفت بالمتشرعة وأودت بهم إلى مهالك الإفقاء المتسرع والشاذ، الذي مر عرض بعض النماذج المعبرة عنه.

#### \* اقتضاءات الدراسات العقلية

من خصوصيات الدارسين للعلوم العقلية الإسلامية، اشتغال برامجهم الدراسية على مقدمات معمقة في علم المتنطق. وهذه المقدمات قد لا يحتاجها المحصل كلها في مراحل تعليمه الأولى، بل لا تظهر الحاجة إليها ماسة إلا عند طرق أبواب الأبحاث الفلسفية العميقية. ولهذا، فإن بعض أبحاث دورة المتنطق المعمقة قد تبقى بلا فرصة عملية للإثمار بالنسبة لغير طلاب الفلسفة، مثل المتخصصين في علم الكلام والمعرفات المرتبطة به، كالخلافيات التاريخية.

وبناءً على هذا، فإن مسلك الاقتصاد البيداغوجي يفرض على مشروع التحبيين عدم إثقال المراحل التعليمية الأولى بمادة منطقية معمقة لا يحتاجها إلا القليل من الراغبين في الاختصاص في الفلسفة الإلاهية. فهو لا، يفترض أن تكون نفس دراستهم الفلسفية فرصة لتعزيز البحث في الكثير من المسائل المتنطقية؛ مثل بحث "الكلمات الخمسة" أو بحث "الحمل والوحدات التسع".

وهنا تظهر مشروعية اختصار المقرر الدراسي الذي يقترحه مشروع التحبيين هذا، فالنكات المتنطقية التي يبيّنها المنهاج المتوسط في حالة تعليق لن تبقى بدون بحث بالنسبة ملء يحتاجها من محضلي هذا القسم، بل إن مجالها الأفضل هو الأبحاث الفلسفية اللاحقة.

### ١.٣.٢.٣. الهيكل العام للمادة المحيّنة

تحصل مما من أنّ الهدف الأصلي من تدوين هذا المشروع بهذا المستوى الوسيط، هو تلبية حاجات طيف كامل من المخاطبين المعاصرين. وقد استقر التحقيق على وجوب تنظيم مواد هذا المقرر الجديد طبقاً لمنهج دراسي متبع في أكاديمية شرعية زيتونية حديثة<sup>١</sup>، وهو منهاج يشترك في الدراسة طبقاً له كلاً القسمين من المخاطبين.

#### \* المنهاج المقرر

يتشكل المنهاج المعنون بـ"المنطق التكاملـي" من ثلاثة مراحل مرتبة في دراسة علم المنطق؛ ومعيار ترتيبها هو الأولوية البيداغوجية: فالسابق لا يحتاج إلى لاحقه، ولا عكس.

فتنتج عن ذلك إخراج المادة المحيّنة في كتب ثلاثة متربطة تتناول بالعرض المحاور المهمة الثلاثة المتعارفة في علم المنطق مُحيّنةً شكلاً ومضموناً، كما يستوجبه مقام رفع تحديات العصر: التصورات وأحكامها، ثم القضايا والاستدلالات، فمماهجه البحث والصناعات الفكرية.

وفي حين كان التخيين شكلياً وماهويـاً، بدرجة أولـى، في المحورين الأولـين<sup>٢</sup>، فإنه يزعم التحول إلى تجديد مضموني وارتباطي، نحالـه غير مسبوق، على مستوى المحور الأخير.

<sup>١</sup>- هي: الأكاديمية الزيتونية المفتوحة، وقد بدأت نشاطها في التعليم عن بعد منذ السنة الجامعية: 2011/2012. وفيها برنامج دراسـيان: تبليغـة الشـيخ محمد زـيتونـة، واجـهـادـية ابنـ عـاشـرـ.

<sup>٢</sup>- هذا لا يعني غياب الإضافـات المـاهـوـيـة، مـطـلـقاً، بل هـنـاك بعض البحـوث الـمـسـتـحـدـةـ التي يـنـفـرـدـ بهاـ الكتابـ الأوـلـ خـاصـةـ، مثلـ بـحـوثـ العنـونـةـ وـالتـخـالـفـ، كماـ أنـ إـدـرـاجـ بعضـ الـبـحـوثـ الـمـحـسـوـبةـ عـلـىـ عـلـمـ الـأـصـوـلـ، مـثـلـ الـمـفـاهـيمـ، ضـمـنـ الـكـتـابـ الأوـلـ أـيـضاـ يـعـتـبرـ مـنـ الإـضـافـاتـ المـاهـوـيـةـ.

### \* في سياق مقاومة التضليل

ما تتضمنه المراحل الثلاث لهذا المنهاج من عناصر جديدة لا سابقة لإدراجهما في مدونات المتنطق، يندرج في السياق العام الذي يتحرك ضمنه مجموع بحوثنا منذ ثلاثة عقود، منهجة الفكر الإسلامي ومقاومة التضليل العلمي.<sup>1</sup>

فهذه الكتب الثلاثة في تعزيز علم المتنطق، تسعى إلى المساهمة في المعركة ضدّ التضليل الذي اكتسح كل المجالات العلمية في غياب تحصين منطقي شامل وناجع للمحصلين والباحثين.

فأما تحصين المحصلين، فيساهم فيه ما تضمنه الكتابان الأولان وقسم من الثالث، وهو الخاص بالأقىسة والوقاية من المغالطات.

وأمامًا تحصين الباحثين، فيحاول تأمينه القسم الأخير من الكتاب الثالث، وهو الخاص بمناهج البحث. وقد كان لهذا القسم تطبيقات موسعة في حقول علمية ثلاثة، هي: الاقتصاد، والكلام، والفقه وأصوله. وبإمكان أهل التحقيق معالجة هذا القسم من التحصين هنالك.

\*\*\*\*

---

<sup>1</sup>- تحت هذا الشعار بدأنا في إصدار سلسلة "منهجية التفكير الاقتصادي"، منذ سنة 1997، بكتابي المطراد والمطرد، وقد كان نصيهما من عناية بعض إخواننا، إحرارهما في المكتبة الوحيدة التي تحملت وزر توزيعهما، في بيروت، يوم 5 فيفري 2001. وبعد تلك التجربة المريرة، وما تلاها من اضطهاد وحضار منهنج، بقيت أعمال كاتب السطور محجوبة عن القراء، ولم تتمكن من تسجيل حضور محتشم لها إلا بمناسبة معرض دمشق الدولي السادس والعشرين في صائفة 2010، إلى أن انجلج فجر الثورة التونسية وأمكن الشروع في نشر البعض منها، والحمد لله.

### 1.3.2. البحث الثاني

تحيين مقدمات ابن الصبان

وعناوين التحيين الماهوي

### 1.3.2.1. استدراك على منظومة ابن الصبان

لا مناص من أن تتجسد إرادة التحيين في أول أبواب الكتاب. فهو المدخل الذي جعلت منه سنة التدوين في الثقافة العربية الإسلامية الاتباعية مرآة لكل الكتاب. وأول الكتاب هو، بحسب العادة، أول فصوله، ويفترض فيه أن يحتوي على عشر مقدمات، هي كما صاغها ابن الصبان:

الحدُّ والموضوعُ ثمَّ الْمَرَّةِ  
إنَّ مَبَادِئَ كُلِّ فَنٍ عَشَرَهُ

والاسمُ واستمدادُ حُكْمِ الشارعِ  
وَنَسْبَةُ وَفَضْلَةُ الْوَاضِعِ

مسائلُ الْبَعْضِ بِالْبَعْضِ أَكْفَى  
وَمَنْ درى الجمِيعَ حاز الشُّرْفَا

وتلك هي مبادئ العلوم عامة، والمنطق لا يخرج عنها.

لكن، أمام ما يقتضيه تحيين المنطق من تقييحات شكلية ومضمونية ماهوية، لعله من المناسب أن نضيف أبياتاً نستدرك بها، في خصوص المنطق، على ابن الصبان، فنوسع القائمة لما لم تشمله منظومته الشهيرة:

لو هيئنا التَّحْيِينَ مَا قدْ أَوجَبَنا  
فِي الْعَشْرَةِ كَانَ الْكَلَامُ أَطْبَانَا

بالمنهج والنقد ومن حِرْمٍ  
أجْهَزَهُ مَعْرُوضَةً وَمُنْتَجَهَةً  
خَمْسَتُهَا تَصْطُفُ فِي تَدْشِينِهِ  
نَاظِمَهَا لِلْحَقِّ لِمَا وَحْدَاهُ  
وَآخِرُ دُعَوَى أَنَّ الْحَمْدَ لَهُ  
لَكَنْ تَجْدِيدُ الْعَصُورِ قَدْ حَكَمْ  
إِضَافَةً إِذْ تُذَكِّرُ وَالْمَنْهَجَةَ  
فَتَلْكُمُ الْأَرْكَانُ فِي تَحْبِيبِهِ  
تَوْفِيقَهَا مِنْ مُنْعِمٍ قَدْ سَدَّدَاهُ  
فَالشَّكْرُ لِلْمَنَانِ كُلُّ الْفَضْلِ لَهُ

#### 1.1.2.2. مبادئ العلم بعد التحقيق

بعد ما اتضح من موجبات تحيين منهاج تعليم علم المتنطق، شكلاً ومضموناً، تحصل في الأبيات الآنفة أن مبادئ العلم، بعد هذا التحيين، قد أصبحت خمسة عشر، وهي:  
الأول: الحد، والمقصود به التعريف. فيكون تعريف العلم بما يكفي لتقريره من الأذهان، أول مبادئ العلم. وكونه الأول في الأهمية، لا ينافي إمكان تأخره ترتيباً زمنياً، إذا كان تقرير العلم من الذهن يحصل بمبادئ أخرى، أوضح تصويراً. كما هو الحال هنا، فسوف يتأخر التعريف إلى المرتبة الثالثة.

الثاني: الموضوع، وهو العنوان الجامع لمسائل العلم، إن كان لها عنوان جامع واحد، وإلا فقد يقدم الموضوع من خلال تشكيلاً من العناوين التي ترتبط في ما بينها بما يكفي للحكم عليها بالتجانس، من إحدى جهات التجانس، على الأقل. وفي فصل "التعريفات" سيكون هناك مجال لتوضيح هذه الاصطلاحات.  
ونظراً لتنوع عناوين مسائل علم المتنطق، وتتنوعها، فقد توزعت بحوث الموضوع على عدة مطالب، ضمن فصل المبادئ.

**الثالث:** الثمرة، وهي الفائدة المرجوة من تعلم هذا العلم. وبحث هذا المطلب ينقسم إلى مستويين:  
**الأول:** بيان أن العلم في ذاته منتج لمعرفة ما.

**والثاني:** بيان أن هذه الثمرة تستحق العناء المبذول في تحصيل هذا العلم. ومن خلال هذه المجموعة المقدمة المحيّنة (المنطق المحيّن)، سوف تتضح الثمرة بمستواها الأول، تماماً، وبمستواها الثاني جزئياً. بينما تُستكمل مباحث المنهاج المقترن (المنطق التكاملية) ببيان المستوى الثاني.

**الرابع والخامس:** فضل العلم ونسبة بين العلوم: من أجل استقصاء المنفعة البيداغوجية، توزعت أبحاث هذين المبدأين على عدة مباحث من كتب هذه المجموعة ومن كتب المنهاج المقترن.

**ال السادس:** واضح العلم. وهو بحث تاريخي، يلخص مسيرة تطور تدوين العلم، إن لم يكن من وضع واضح واحد، وهو حال علم المنطق. وقد تولت كتب هذه المجموعة إنجاز هذه المهمة.

**السابع:** الاسم الذي استقر عليه العلم عبر العصور، وأخيراً. وفي مورданا لم يعرف لهذا العلم اسم آخر بين العرب، سوى ما حاوله الغزالي، كما سيأتي ضمن البحث التاريخي.

**الثامن:** حكم الشرع فيه. وسيكون بحث هذه المسألة ضمن البحث التاريخي.

**التاسع والعالش:** كليات مسائل العلم، وفهرست مطالبه، بحسب ما يسمح به المجال من إجمال أو تفصيل. وقد اخترنا أن نختتم الكتاب الأول من هذه المجموعة برسالة شهيرة لابن ناصر الخونجي تفي بالقسم الأعظم من هذا الغرض.

**الحادي عشر:** منهج العلم.

**الثاني عشر:** حركة النقد التي واجهت العلم، داخلياً وخارجياً.

**الثالث عشر:** المحرومون من فوائد هذا العلم، بسبب مقاطعتهم له أو عدم إتقانهم  
لباحثه.

**الرابع عشر:** ذكر عناوين الإضافات المضمونة في التحقيق، وسيأتي ذكرها عقب هذا  
الجرد، لمناسبة الموضوع مع هذا المبحث.

**الخامس عشر:** العناوين الكلية للأجهزة المنتجة التي يتکفل هذا العلم بعرضها، أو  
يكون قد استعملها.

وفي هذه المجموعة المقدمة، بداية من الفصل الآتي، نشرع في استعراض المبادئ  
العشرة الأولى، وهي الراجعة لتراث ما قبل التحقيق. كما سيكون فيها مجال التقديم  
التدرجي لبعض الخمسة المستحدثة منها، مراعاة للمقتضيات الجديدة للإضافة  
المضمونة التي يحملها هذا المشروع، كذلك المتعلقة بوظيفة علم المنطق الآليّة في  
العلوم الشرعية، وأهمها "علم أصول الفقه"، وعلم "مقاصد الشريعة".

### 1.1.2.3. عناوين الإضافات المماهوية

لقد استوجب تحيين المنطق تحويرات شكلية وتنقيحات مضمونة وصل بعضها إلى  
الإضافة المماهوية التي يمكن أن تدرج تحت عنوان "الاستدراك".

أولاً: إدراج البحث المنطقي في الفضاء التكاملية، وإخراجه من حالته السكونية.  
ويتمظهر هذا الإدراج في تطوير مضمون بحوث "الخلاف"، ولمفاهيم التخاليفية، التي  
شهدت توسيعة هامة بدخول مرحلة التصوير المنطقي للموضوعات طوراً حركيّاً، تظاهر  
من خلاله الوظائف السببية والمبسبية للعناصر التخاليفية.

كذلك الأمر بالنسبة للمدلولات الالتزامية، فبمجرد النظر إليها من زاوية  
حركية، لا ساكنة، تطرح قضايا منطقية جديدة في غاية الأهمية، نظير: ارتباط

مآل دلالة ما بدلالة أخرى. ورغم كون هذه الأبحاث قد شهدت تبلورها الطبيعي في أحضان علم أصول الفقه، إلا أنها لم تلق حظها من العرض والنقد لدى المناطقة، فوجب هذا الاستدراك.

وقد اشتمل الكتاب الأول من المنهاج المقترن على هذا المقدار من الإضافات.

ثانياً: تنقية بعض المفاهيم الخاصة بتشمين المعلومات، مثل مفهوم البديهيات وقيمة الحسيةات. وقد اشتمل الكتابان الأول والثاني على هذا المقدار من الإضافات.

ثالثاً: دمج بحث الصناعات الخمس مع بحوث المنهاج التي تعتبر أهم إضافات وكما. وقد اشتمل الكتاب الثالث على هذا المقدار من الإضافات.

\*\*\*\*

### 1.3. الفصل الثالث

نحو

تحيين الإطار المعرفي  
للمنطق الإنساني العام

\*\*\*\*



### **1.3.1. المبحث الأول**

#### **المنطق الإنساني العام: ماهيته ووظائفه**

\*\*\*\*

### **1.3.1.1. البحث الأول**

#### **موضوعية الظاهرة المنطقية**

##### **1.1.1.1. الظاهرة المنطقية والمنطق**

لكلّ نوع من المخلوقات وسائل ارتباطية يحقق بها أفراده كلّ ما يحتاجون إليه من اتصالات داخلية أو خارجية، بين أفراده ومع أفراد الأنواع الأخرى.

وبقطع النظر عن نوع هذه الأداة التخاطبية، وما إذا كانت من جنس الأصوات أم من جنس الرموز المحسوسة الأخرى، فإنّ القدر المتيقن المفترض في كلّ وسيلة تخاطبية، حتى يصدق عليها أنها حقاً أدلة تخاطب واتصال، أن تكون مشتركة بين طرفي الخطاب: المصدر للإشارة والمتلقي لها. ويستوي في

هذا كُلَّ أدوات الخطاب، وجميع أنواع المتخاطبين. فهذه حقيقة تكاد تكون من ضروريات العقل، لولا أنها يمكن الاستدلال عليها ببرهان الخلف.<sup>١</sup>

ولاشك في كون الغرض العام المقصود من وراء جميع الأدوات الارتباطية هو تحقيق الاتصال وانتقال المعلومة المطلوبة بين أطراف الخطاب. وهناك شرط ضمني لا يحصل هذا المراد بدونه، وهو كون المعلومة الوالصلة إلى متلقي الإشارة، هي بعينها الصادرة من مرسليها، وليس غيرها.

ولا يعني هذا صحة المعلومة المنتقلة بالضرورة، بل يعني مطابقتها لما يريد المتكلّم أو الرامز، أو المشير عامة، إيصاله للطرف المقابل، حتى إذا كانت نيته مغالطة، وإيقاعه في وهم ما.

وخلال كُلِّ ذلك، يكون الاعتماد على قاعدة ضمنية متفق عليها بين جميع أطراف التخاطب، ومفادها: الاشتراك بينهم في قواعد الخطاب بحيث يتحقق الغرض من الرموز المستعملة فيه.

### \* المنطق العام للظواهر الاتصالية

إنَّ الحاصل مما مرَّ هو أنَّ مجموع القواعد الضمنية التي لا يختلف فيها فردان من نفس النوع، إلا أن يكون من باب اللجاجة المفضوحة، هو حجر الزاوية في اطراد الارتباط بين أفراد كل نوع، وهو أساس البناء التكويني أو الغريزي أو الفكري، الذي يمكن أن يطلق عليه اسم: "المنطق العام للظواهر الاتصالية". ومدلول كلمة "منطق" هنا، هو "القاعدة التي على أساسها تم تحقيق التواصل"، بعد استبعاد تفسير تكون الظواهر الاتصالية عشوائية وبحكم الصدفة.

<sup>١</sup>- المعرفة الضرورية لا يستدل عليها، كما سيأتي في الفصل اللاحق. أما هذه القاعدة، فدليلها أنه لو فرضنا النقيض، أي كون الأدوات مختلفة من فرد إلى آخر، فسوف يلزم من ذلك نقض الغرض من التخاطب، وهو إيصال المعلومة، وهذا خلف. وبرهان الخلف من أكثر البراهين رواجاً في الرياضيات.

فالمتنطق، بهذا الاصطلاح، شكل من أشكال نفي العشوائية، بل لعله من أبرزها. أما تطبيق مفهوم "القاعدة التي تأسس عليها الارتباط" على ارتباطات النوع الإنساني فهو الذي يعطينا مفهوم: المتنطق الإنساني العام".

#### \* الناطقية والظاهرة المتنطقية

بما أنَّ الناطقية هي ما يميز الإنسان بشكل تامٍ عن غيره من المخلوقات الحية، حتى قيل عنه أنه "حيوان ناطق"، فلا بدَّ أن تكون هذه الخاصية الانحصارية متمظورة على مستوى ارتباطات الإنسان بأخيه في النوع: فالمتنطق العام للارتباطات الإنسانية يجب أن يجسّد تلك الخاصية بحيث تتمايز قواعد منطق الارتباط البشري عن قواعد أي متنطق ارتباط آخر.

لذا، فمن المناسب أن يبدأ فحص الظاهرة المتنطقية الإنسانية انطلاقاً من فحص الناطقية نفسها. فنقول: بقطع النظر عن تعريف الناطقية كما يستوجبه البحث الفلسفـي، فإنَّ القدر المتيقـن من تعريفها، وهو الذي يمكن تحصيله من استقراء لعناصرها البارزة في السلوك الإنساني، هو أنها التلبـس بقوـة إدراكـية واعـية ومختـارة وقدـرة على التخطـيط للمستقبل القـريب والبعـيد بحيث يتمـ تأمين قدر ما من حظـوظ التـكامل.

ومن الواضح أنَّ التفاوت بين أفراد النوع، في القدر المراد إحرازه من حظـوظ التـكامل، هو الذي يفرض أن يكون تمـظـر الناطـقـية على مستـوى أفرـاد النوع الإنسـاني في مراتـب مـتفـاوتـة في الشـدة والـضعفـ. ومع هـذا فإنَّ الظاهرة الارتبـاطـية لا بدَّ أن تكون على مستـوى واحدـ من الـوجود والـتـلـقـي بالـقبـولـ، وإـلا انتـقـضـ الغـرضـ من وجودـهاـ، وهو تـأـمينـ الـاتـصالـ النـاجـعـ.

فيتحـصـلـ أنَّ الظاهرة المتنـطقـية الإنسـانـيةـ هيـ مـجمـوعـةـ منـ القـوـاعدـ السـلوـكـيةـ الـارـتبـاطـيةـ التـيـ تـؤـمـنـ لـلـبـشـرـ حـدـاـ أـدـنـىـ منـ تـبـادـلـ المـعـلـومـاتـ منـ جـمـيعـ الـأـنـوـاعـ. وهذاـ الحـدـ الأـدـنـىـ هوـ الـذـيـ يـجـسـدـ الـحدـ الأـدـنـىـ المشـترـكـ منـ النـاطـقـيةـ بـيـنـ أـفـرـادـ النـوعـ البـشـرـيـ، وهوـ الـحدـ الـذـيـ دونـ إـحـراـزـهـ يـخـرـجـ الفـردـ

من دائرة الانتساب الاعتباري للنوع. وفي هذه الحالة يقال عن هذا الفرد الذي لم يحرز هذا الحد الأدنى، لسبب من الأسباب القسرية (كاملاً مرض) أو الإرادية (كالمعتقدات الفوضوية أو العقبية)، أنه غير عاقل أو شاذٌ. وكثيراً ما يُعقب على الوصف بالشذوذ، بالقول: الشاذ يحفظ ولا يقاوم عليه.

بهذا تكون لغة التخاطب حالة خاصة من الظاهرة المنطقية، وكذلك الأمر بالنسبة لكل ما يندرج تحت عنوان الرموز الارتباطية، سواء البدائية منها أو المتطورة المعاصرة.

#### \* المنطق الإنساني العام

إنَّ ما يبحثه العلم المسمى بـ"علم المنطق" هو المنطق الإنساني العام، وهو الذي يطلق عليه أسم: "المنطق الشكلي" أو "المنطق الصوري". ويفترض فيه أن يجمع القواعد الارتباطية المتفق عليها بين كل الأفراد الذين لا يشتكون من أي نقص في ناطقיהם، وهم الذين يعبرُ عنهم بـ"العقلاء".

والمنطق هو الأداة المعنوية الاتصالية المشتركة بين الناس العقلاء، جميعاً. فيستعملونها في تفكيرهم العادي والعلمي، سواء كانوا واعين بذلك أو غافلين عنه، وسواء أقرُوا بذلك أو جحدوه.

#### 1.1.2. الطابع الاستكشافي لعلم المنطق

ما تقدم، يحصل أنَّ علم المنطق مجموعة من البحوث الاستكشافية التي تسعى إلى إبراز قواعد موجودة بالفعل، وإن كانت غائبة عن الأنظار غير المدققة. كما أنه لا يتصور في مثل هذه البحوث ذات الصبغة التقريرية<sup>1</sup> أكثر من "وضع المصطلحات"، دون ابتكار مضموني، إذ أنَّ كل ما يجب على المنطقي أن

<sup>1</sup> - أي: الحالية من الإنشاء.

يفعله هو تصوير القواعد المشتركة التي يقوم عليها التخاطب الإنساني، بحيث لا يخرج عنها إلا من أجمع العقلاً على نعنه بالشذوذ أو وصمته بالنقص العقلي.

#### \* محورية الاصطلاح في عمل المناطقة

بناء على ما مرّ، فإنّ غاية ما يمكن أن تصل إليه أيدي المناطقة من عمليات الوضع، هو الاصطلاح، وهو اختيار التسميات المناسبة لكل الموضوعات التي يتم اكتشافها، دون أن يكون لهذه الاصطلاحات تأثير سوى المساعدة على التبيين والتوضيح. فتححصل أنّ التخاطب بين الناس على اختلاف مللهم ولغاتهم ممكن، بمحض اشتراكهم في نفس المرتبة العقلية والقدرة على استيعاب مغزى رموز الخطاب التي هي الاصطلاحات المتعارفة والتي لا يمكن لأحد استبدالها بقرار متخذ من طرف واحد، وبدون توافق عام بين جميع المستعملين، أو أهمهم وأقواهم تأثيراً على الأقل.

وهذا الإمكان العام أمر واقع لا سبيل إلى إنكاره. ولكن، واقعية التخاطب البشري، لا تنفي احتمالات سوء التفاهم التي تنشأ عن جهل متبادل للاصطلاحات المتدالة بين الطرفين.

#### \* ما وراء الاصطلاحات

إنّ الذي يجب التنبه له، هنا، هو أن إمكانية رفع حالات سوء التفاهم تبرز بوضوح وجود خلفية مشتركة للخطاب، هي أعمق من اللغة واصطلاحات الخطاب، وهذه الخلفية المشتركة هي التي تصحح أخطاء التخاطب. وإن دور المتنطق، بالتحديد، هو الكشف عن هذه الخلفية المشتركة العميقه التي تتجاوز اللغات وحواجزها.

وهذه الخلفية، كما مر آنفاً، تتكون من مجموعة من القواعد التي يسلم بها المخاطبون مهما اختلفت ثقافاتهم، وتباعدت مشاربهم. وهي تعود إلى الأصل الإنساني المشترك الذي تفرعت منه الأعراق والأقوام والجماعات البشرية.

### \* الأصل الإلهي للمنطق

لو حصرنا مجال البحث ضمن إطار النظرة الإلهية الفلسفية للوجود، وهي التي تعتبر الناطقة فيضاً إليها من الوجود الواجب على أشرف الكائنات، وهبة وتكرهاً إلهيًّا للبشر، وتعتبر هذا التكريم مقدمة لاستخلاف هذا الموجود في الأرض، يكون لفرضية "الأصل الإلهي للمنطق" الكلمة الأخيرة في حسم الجدل حول مشروعيته.

ومهما يكن موقع الفلسفة الإلهية من هذا البحث، فإنَّ تلك الفرضية تبقى محفظة بموقع متميِّز بين الفرضيات التي يمكن للمنطقة تقديمها لبيان مشروعية علهم، دينياً وإناسياً وتاريخياً، بعد أن تبيَّنت لهم مشروعيته وظيفياً.

وحيث أن تقديم أوجه المشروعية الإنسانية التاريخية يخرج عن حدود ما التزمنا به في هذا المجال المختصر، فنحن نكتفي، هنا، بعصرارة من بيان المشروعية الوظيفية التي يفرض ذكرها المقام.

\*\*\*\*

## البحث الثاني

### المشروعية الوظيفية للمنطق

#### 1.1. من الخاصيات الوظيفية لعلم المنطق

لا سبيل إلى ترتيب أي أثر على الخطابات البشرية إذا لم يكن التسليم بقواعد المنطق الإنساني العام حاصلا، بصراحة أو ضمنيا، بين طرف الخطاب: المتكلم والمستمع، أو المشير ومتلقي الإشارة.

فعلى سبيل المثال: إذا قال أحد: يوجد في الشارع المجاور مانع من العبور. فإن هذا الكلام لا يمكن أن يكون له أثر عملي في تنبية المخاطبين، إلا إذا سلموا جميعاً بأن المتكلم يقصد ما يقول، وأنه لا يمكن أن يعني غيره، سواء كان ذلك في ما يخص تحديد الشارع أو وصف حالته من حيث إمكان عبوره.

وانطلاقاً من هذا المثال، يمكن أن يقال أنه توجد قاعدتان منطقيتان، على الأقل، لا بد من التسليم بهما، كشرط لتحقيق الغرض من الخطاب، وهما:

أولاً: أن المراد الجدي للمتكلم متطابق مع ما يفهم من كلامه، بحكم العرف اللغوي.

ثانياً: أن المتكلم لا يمكنه أن يُظهر أنه قصد بكلامه ذاك، معنى معيناً، بينما هو يعني ضده، في نفس الوقت.

ورغم الارتباط بين القاعدتين، فإن التدقيق فيهما يفرض علينا التمييز بينهما وظيفياً، بحيث قد يقال بوجوب إخراج الأولى من حقل المشتركتين

الضرورية المفترضة كحدّ أدنى في الخطاب، مع الالتزام بإبقاء الثانية ضمنها. ولكنَّ هذا القول لا يصمد أمام النقد، وهيئنا بيان ذلك.

#### \* قاعدتان منطقيتان على المحك

إنَّ القاعدة الأولى جديرة بكلِّ تأمل:

فالاصل في المتكلّم أنه جدّي في كلامه وليس مازحاً أو أديباً مغرقاً في المجازات البعيدة. وهذه القاعدة عقلائية وعامة وتکاد تكون عقلية، لولا تخصيصها باستثناءات كثيرة، كما سيأتي.

وأمّا القاعدة الثانية، ومفادها أنَّ المتكلّم لا يقصد بكلامه ذاك، معنى معيناً، ويعني -في الآن نفسه- شيئاً آخر، قد يكون ضدّاً أو نقضاً(منافياً) له، فهي خاصة من خواص العقلاة، وبدونها يشكّل الناس في سلامة عقل المتكلّم، إلّا إذا قامت قرينة على وجود غرض خاص من الكلام متعدد الدلالات.

والحاصل أنَّ كلاً القاعدتين لهما من الخلفية العقلية ما يجعلهما بمنأى عن التهافت السهل، وكل ما في الأمر أنَّ كثرة الاستثناءات التي تعرّض على الأولى توحّي بضعفها، دون أن يكون هذا الضعف ذاتياً.

#### \* حول انتقاد القاعدة الأولى

إنَّ ما افترضناه من اشتراك البشرية في تبني القاعدتين الآفتين، يصطدم بوقوع القاعدة الأولى تحت طائلة عدد لا يحصى من موارد الاستثناء، بحيث قد يصعب الدفاع عن اطّراد القاعدة بما يكفي لبقاء اتصافها بصفة "القاعدة المشتركة في الخطاب البشري". فأصالحة الجدية في الكلام، فرضيّة كثيراً ما لا تتحقّق، لأسباب متنوعة عديدة.

فإن أجب عن هذا الإشكال بأنه يمكن جعل القاعدة مشروطة بعدم وقوعها تحت طائلة الاستثناءات المتنوعة؛ كان الرد الفوري الذي ينتظر مثل هذه الإجابة هو: هذا النوع من القواعد عدمه خير منه، لأنّه يشتمل على ارتکاب شيء مستهجن في الخطابات العرفية، وهو الذي يسميه الأصوليون: "تخصيص الأكثر". ومثاله أن تقول: أكرم كل ضيف إلا المجهول والغني وكثير العيال والأكول والبليد والثقيل وغير ذي الطمع وجميع من هم في حكمهم!

مع هذا، فإنّ القاعدة تبقى على حالها، ولا يضرها ما تکاثر عليها من النقوص الناتجة عن كثرة ابتعاد الناس عن الجدية. والسبب في هذا الثبات هو تلك النكتة العقلائية التي لا يمكن لأي مجتمع بشري أن يستغنى عن مراعاتها بدون أن يتفكك. وهذه النكتة، التي سبقت الإشارة إليها، تمثل في أن جوهر التواصل بين أفراد كل مجموعة بشرية لا يمكن تأمينه إلا بواسطة توحيد رموز التواصل. وهذه الرموز لها دلالات واحدة مقبولة لدى الجميع. ولولا هذه الوحدة لما كانت الرموز صالحة لتأمين الغرض الاتصالي. لهذا، فمهما كثرت الاستثناءات فإن إرادة المتكلم للمعنى المتفق عليه تبقى هي الأصل، وما عداه من معانٍ غير جدية يحتاج إلى قرينة تبيّنه. ولا فرق في هذا بين الكلام وسائل الرموز المرسومة أو الصوتية أو المرئية.

#### \* الموضوعية والذاتية في أدوات الخطاب

مع ما تقدّم، هناك سبب آخر لاستبعاد القاعدة الأولى وإثبات الثانية، هو تطرق بعض عناصر الذاتية في الأولى، بحيث لا نستطيع الجزم بأنّ تطابق المراد الجدي مع المفاد العرفي للخطاب مسألة موضوعية لا تقبل المناقشة بحال. وفي المقابل، تتميز القاعدة الثانية بموضوعية تجعلها أمراً واقعاً لا مناص من التسليم به.

ومن هذه الملاحظة نستخلص خاصية هامة للتشكيلة المنطقية التي تؤمن الارتباط، وتكون موضوعاً للبحث المنطقي، ولعلم المنطق، وهي الواقعية والموضوعية الصرفة، أي عدم الامتزاج بعناصر افتراضية أو ذاتية قابلة للطعن أو للإغفال.

#### \* واقعية المشتركات البشرية

إن اصطدام افتراض اشتراك البشرية في التسليم بالقاعدتين الانفتتين بوقوع الأولى تحت طائلة موارد الاستثناء، يجعل مهمة الدفاع عن اطراد القاعدة وبقاء اتصافها بكونها قاعدة مشتركة في الخطاب البشري أمراً محرجاً، للوهلة الأولى.

لكنَّ السؤال الذي يبقى مطروحاً، هنا، هو: إلى أي حد يجب أن نولي الأهمية مثل تلك الاستثناءات؟

عبارة أوضح: هل كون كثير من الناس لا ينتظرون بما يضمرون، يكفي لبرير هدم "قاعدية" هذه القاعدة، واستبعادها رأساً؟

فبناء على هذا الفرض، يمكن أن نتصور وراء كل كلام معاني عديدة محتملة. فيلزم من ذلك انتقاد الغرض الأول من الكلام، وهو إيصال معلومة بعينها إلى المخاطب وليس تخبيه بين عدّة معلومات محتملة.

أما لو افترضنا تعدد المعاني المقصودة من المتكلّم، لأي غرض كان، وهو نقض للقاعدتين معاً، فنحن ننتقل من فرضية إرادة الاتصال والارتباط الموضوعي العام، إلى فرضية أخرى ذاتية أو خاصة، فنكون قد خرجنَا من الدائرة التي انطلقنا من رسمها، أي: دائرة تأمّن الاتصالات العامة والمشتركة. فينتفي بذلك موضوع البحث المنطقي.

### ١.٣.٢.٢. تهافت نظرية تعدد المدلولات

يتحصل مما تقدم أنه من المتعين نفي فرضية تعدد المدلولات في وسائل الخطاب المعتمدة بين العقلاء الراغبين في التواصل. فمن الواضح أن المتكلم العاقل الذي يريد إيصال معلومة ما إلى مخاطبه، لا يمكنه أن يقصد بكلام واحد معانٍ متعددة. وإذا فهمنا هذه الحقيقة جيداً، فإن الوهم الذي حمله شيخ الإسلام ابن تيمية دهراً وأورثه بعض أهل القلم دهوراً، والقائم على نفي وجود المجاز في الخطابات الشرعية، لا يجد متعلقاً يكون موضوعاً له. فالقضية سالبة بانتفاء موضوعها، كما سوف يتوضّح من محله في الجزء الأول من المشروع المقترن.

### \* القاعدة الأولية في الخطاب العقلائي

إن وحدة المعنى المراد التواصل بواسطته أو المطلوب إيصاله، هي القاعدة الأولية في التخاطب العقلائي. وحيث أن المكلف عاقل بالضرورة، لأن العقل شرط للتکلیف؛ وحيث أن الخطاب القرآني صريح في طلب التعقل من قارئيه، فلا بد أن يكون الخطاب الشرعي خطاباً عقلائياً بامتياز.

وبيان ذلك أنه ليس من المعقول أن يكون في الكلام الشرعي، ولا في غيره الصادر مع إرادة تأمين الارتباط، تعدد للمعاني، بل غاية ما في الأمر أن هذا الكلام لا بد أن يفهم به مجموعه بما هو بنية منسجمة ذات غرض ارتباطي، يراد منها إيصال بنية مترابطة من المعاني.

### \* مثال كلمة "يد" في القرآن

لتوضيح المسألة، لنأخذ مثال كلمة "اليد"، في القرآن الكريم: فلا يجوز أن نفكك بين مدلولات الاستعمالات المختلفة لهذه الكلمة، بحسب ما نتوهمه من كونه حقيقة أو مجاز كما يفعله أهل التفكيك من المفسّرين، فنقول -تبعاً لهم- أن كلمة اليد تعني الجسم المشكّل لأحد أطراف الجسم العيّواني والذي ينتهي بالأصابع، في قوله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطُعُوا أَيْدِيهِمَا} [المائدة: 38] وفي المقابل، فهي نظرهم هي لا تعني مثل هذا المعنى في قوله تعالى: {مَا مَنَعَكُمْ أَنْ تَسْجُدُ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي} [ص: 75] أو: {يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ}، بدعوى أنها في الموردين الآخرين مأخوذة على نحو المجاز، بينما هي مأخوذة على نحو الحقيقة في المورد الأول.

فمقتضى النظر التوحيدى المنطقي أن يكون المعنى واحداً، ولكن ليس بالتفسير الحشوّي التجسيمي، لأنّه يتعارض مع وجوب نفي التشبيه والجسمية، وهو الحكم المتصرّح به في القرآن الكريم، بل بمعنى آخر ينفي ماديّة معنى اليد في القرآن، فيتغير بذلك النّظر إلى بعض مفردات العقيدة والفقه معاً. والله أعلم. وبه التوفيق.



### 1.3.1.3. البحث الثالث

#### تجاوز المنطق للنظام الارتباطي

##### 1.3.1.3.1. المنطق في حقل المعرفة البشرية

بناء على ما مر، قد يتبدّل إلى الأذهان أنّ موضوع المنطق، أي العنوان الكلي الجامع لموضوعات المسائل التي يبحثها، لا يتجاوز حقل الارتباطات الإنسانية. لكنّ النظر في حقيقة وظيفة المنطق يعطينا فكرة أوضح عن ماهية مسأله، بحيث تتدفع هذه الشبهة، وتتضح صورة موضوع هذا العلم، الذي هو تمثيل مجمل التفكير البشري.

##### \* اتساع حقل العلم

تزداد القضايا المعروضة للبحث في الحقل الجامع لمسائل المنطق عدداً كلما تطورت العلوم البشرية. وما يكون في حاشية العلم زماناً ما، كثيراً ما يصبح من بحوثه الأصلية بعد فترة من تطور العلوم.

وبصفة عامة، لا يمكن الاستغناء عن قواعد المنطق الإنساني العام عند التعامل مع أية قضية علمية، وليس فقط عند التخاطب.

ولكن الحاجة إلى مزيد من القواعد العامة تفرض نفسها كلما ازداد تعقيد البحث أو غموض بعض جوانب الخطاب، وكُرِّرت تشعباته.

لكن، هل كان الشعور بالحاجة إلى المنطق ملازماً للإقرار به، دائماً؟

##### \* إنسانية الحاجة إلى المنطق

مما يؤكّد إنسانية الحاجة إلى المنطق اشتراك جميع الاتجاهات الفكرية والدينية في الاستفادة من قواعده بقطع النظر عن موقفها المحترز منه، أو

حتى المعادي له. ويتساوى في ذلك أهل الديانات والملاحدة وأصحاب الرياضيات الروحية، وغيرهم...

وإذا حصرنا الكلام في فضائنا الجغرافي والثقافي المتوسطي الذي اجتمعت فيه الثقافتان الإسلامية واليونانية، وجدنا حضورا مطردا للمنطق وقواعده في كل الظواهر العلمية مهما اختلفت طرق تحصيل نتائجها التي يعبر عنها بـ"المناهج البحثية".

### 1.3.2. شبهة احتضان العلوم العقلية للمنطق

على هذا المستوى من تحليل الظاهرة المبنية، هناك شبهة مستحكمة قد نجحت في فرض نفسها بعنوان حقيقة علمية، ومفادها: وجود ارتباط وجودي وتكاملي بين جنس محدد من العلوم وعلم المنطق. فبحسب هذا المدعى، فإن تبلور علم المنطق وتكامله كانا دوما مرتهنين بتطور حاجات العلوم التأملية الموسومة بـ"العلوم العقلية"، وأول هذه العلوم الفلسفية التي هي النظر في الوجود من حيث هو موجود.

والحقيقة أن هذه الدعوى كان يمكن أن تحظى بالقبول لو لا ما سيأتي لاحقا من كون المنطق لم يقتصر في وجوده على الشكل اليوناني المعروف، وهو الشكل الذي يمكن التسليم له، مع المسامحة، بصدق هذه الدعوى.

ومن هنا، كان أول مبحث احتاج إلى تعيينه هو مبحث تعريف المنطق بعيدا عن الشحنات المعرفية الموروثة عن شكل معين من المنطق، وهو ما يسعى هذا الكتاب إلى إنجازه.

\* تقرير شبهة الارتباط مع جنس العلوم العقلية  
يمكن تقرير تلك الشبهة كما يلي:

بعد انقسام المعارف البشرية، بحسب طرق تحصيلها، إلى عقلية ونقلية وتجريبية، اشتد الإحساس بالحاجة إلى المنطق عند العقليين أكثر من غيرهم، رغم حاجة الجميع إليه. فكانت الحضارة اليونانية مهد الأول الذي شهد

تدوينه، على يد أرسسطو، في القرن الرابع قبل الميلاد. واستمر العالم القديم في استهلاك التراث الأرسطي دون إضافة تذكر، حتى استلم المسلمون مشعل الريادة العلمية، في نهاية القرن الثامن للميلاد، الذي شهد بداية عملية نقل علوم اليونان إلى العربية، بواسطة لغة ثلاثة هي السريانية.

وفي ظرف عام تميز بالتفوق الشامل للعرب<sup>1</sup> في شتى مجالات المعرفة، أمسك فلاسفة المسلمين بالمبادرة بكل اقتدار. واستمروا في بلورة مباحث علم المتنطق، وتطويرها أحياناً، حسب ما كانت تقتضيه الحاجة، سبعة قرون كاملة: انطلاقاً من الكندي(260هـ) وأبي نصر الفارابي(339هـ) الذي لقب بالمعلم الثاني، بالقياس إلى المعلم الأول أرسسطو، وابن سينا(428هـ)، في القرنين الرابع والخامس للهجرة، ووصولاً إلى محمد بن إبراهيم القومي الشيرازي(1050هـ)، وهادي السبزواري(1289هـ)، آخر صاحب منظومة شاملة في المتنطق والفلسفة، مروراً بابن باجة(533هـ) وأبي الوليد بن رشد القرطبي(595هـ) والفارخ الرازى(606هـ) وابن نامور الخونجى(646هـ) ونصر الدين الطوسي(672هـ) والقطب الرازى(766هـ). وقد كان جميع هؤلاء من الفلاسفة والمتكلمين.

وفي المقابل، هيمن سوء الظن بالمنطق على معظم المشغلين بالعلوم النقلية، واشتهر من بينهم بصفة خاصة ابن الصلاح الشهري(643هـ) وتقي الدين ابن تيمية(728هـ).

وكذلك، وبعد عودة مشعل الريادة العلمية إلى أوروبا، هيمن سوء ظن مماثل بالمنطق، الموروث عن العهود الاتباعية، والمسمي بالمنطق الشكلي، على بعض المتمسكين بانفراد التجربة بوظيفة "مصدر المعرفة".

---

<sup>1</sup>- العرب المقصودون هنا ليسوا سكان الجزيرة العربية وأطرافها، بل كل المستعربين من جميع الأمم الداخلة في الإسلام، من جنوب فرنسا إلى تخوم الصين.

وقد راجت، وما تزال، بين النقلين من المسلمين شعارات معادية للمنطق وأهله، مثل: "من قمنطق فقد تزندق". وهي تعبّر عن حالة من الغفلة عن حقيقة هذا العلم، كما سوف يتضح.

#### \* حول انفراد العقل العقلي بالوفاء للمنطق

تتضخّح خطورة الشيّبة المتقدمة في كون حقل العلوم العقلية قد اعتبر، على الدوام، أشدّ الحقول وفاءً للمنطق، بسبب أنّه أفضحها إقراراً بالحاجة إلى قواعده. ولا يخفى أنّه بين الحاجة والإفصاح بالحاجة فارقاً لا بدّ من الانتباه إليه. وإغفال هذا الفارق هو سبب رواج هذه الشيّبة التي لا يمكن أن ترتفع نهائياً إلا في الجزء الثالث من هذه المجموعة، حين التعرّف المباشر على شكل آخر من أشكال المنطق لم يسفر عن عنوانه. مع هذا، فالإمكان حل الشيّبة بإجراء توسيعة مفاهيمية خالية من كلّ تعسّف، ومفادها أن مفهوم العلوم العقلية قد أصبح يشمل كلّ العلوم المعتمدة على المنهج النصوصي العقلي، مثل علم أصول الفقه المدني<sup>1</sup>.

#### \* التوسعة المفاهيمية لعنوان العلوم العقلية

فقد كانت عقلنة الفقه، عن طريق تأسيس علم الأصول، في التطور الفقهي<sup>2</sup> الثالث، ثم علم المقاصد في التطور الفقهي الخامس، فتحاً كبيراً

<sup>1</sup>- سيأتي الكلام بالتفصيل عن خصوصيات الفقه المدني، في الجزء اللاحق.

<sup>2</sup>- مر الفقه بخمسة أطوار، تميّز كل واحد منها بتنقيحات مناهجية جوهريّة. وهذه الأطوار، إجمالاً، ومع فروق جزئية بين مختلف المدارس الفقهية، هي: الأول: استمر إلى نهاية القرن الأول؛ الثاني: استمر إلى الثلث الأول من القرن الثاني؛ الثالث: استمر إلى منتصف القرن الثالث؛ الرابع: استمر عند البعض إلى اليوم، وعند المالكية إلى منتصف القرن الماضي، مع إحياء علم المقاصد على يد الطاهر بن عاشور(1973م)؛ الخامس: ما يزال في حالة تزاحم مع الطور الرابع في معظم المدارس الفقهية. ولمزيد التفصيل لاحظ: مجموعة: أطوار الاجتهد ومناهجه، طبعة المتوسط الجديد سنة 2010.

للمتنطق: فقد شهد حقل المعرفة العقلية اتساعاً ليشمل أشرف العلوم عند المسلمين، وهو الفقه.

وهكذا، أصبح لعلم المتنطق وظيفة أساسية في أشرف العلوم وأهمها في الثقافة الاتباعية الإسلامية. وقد بقي الحقل العقلي وفياً للمتنطق بعد اتساعه، فكان هذا سبباً في توسيع دائرة مخاطبي علم المتنطق والمعترين بفضله. ولم يخالف في ذلك إلا بعض الحشوية الذين ظلوا على هامش الثقافة الإسلامية، دون قدرة على استيعاب كنهها.

ولا نغالي إن أكدنا أنَّ حقل المعارف العقلية، بهذه التوسعة، ينفرد بشرف الوفاء للمتنطق: فالوفاء يعني الالتزام -باطرداد وبدون إتقاطية- بتحكيم قواعد المتنطق الإنساني العام، والاستقراء هو أفضل دليل على حيازة هذا الحقل الموسع لهذا الشرف: ويكتفي للتتأكد من صدق هذا المدعى، النظر إلى ما ابتليت به الحقول النقلية كلها، وبلا استثناء، من كثرة الانزلالات الذوقية والتعصبات التي لا أساس لها غير الأوهام، وغير ذلك مما هو رائق لدى كل من يزعم الاحتکام إلى قواعد المتنطق دون أن يكون حقله العلمي مستعداً لذلك.

وهنا تُطرح مسألة مناهجية هامة، قد لا تجد جواباً شافياً لها إلا في نهاية آخر أشواط هذا التحقيق، وهي: علاقة نجاعة المنهج بطبيعة الحقل العلمي. ونكتفي، هنا، بإشارة وجيزة إلى أهم عناصر حل هذه المسألة، ونرجئ القول المفصل فيها إلى محله المذكور.

#### \* علاقة حقل البحث بالنجاعة الوظيفية للمتنطق

حتى تتوضّح صورة المسألة، لنشخصها بمثال شهير: عبد الرحمن بن خلدون ومقدمة وتأريخه.

فمما لا يرقى إليه الشك أن مقدمة ابن خلدون هي من أعلى المتون الاتباعية وأنضجها على الإطلاق. بل إنَّ بعض الباحثين المعاصرین لا يتزدرون

في اعتبارها سابقة لزمانها في بعض الموضوعات، مثل علم العمران البشري والاقتصاد وفلسفة التاريخ.

وأهم ما يميز هذا العمل الاستثنائي هو قوته المنطقية التي جعلته يفرض نفسه حتى في الفضاءات الثقافية المختلفة عن الفضاء العربي الإسلامي، كأوروبا المعاصرة. والمتابع للأغلب مباحث المقدمة يجد التزاماً منطقياً مطرداً من المؤلف، فلا يخرج عنه إلا تحت ضغط سياسي قاهر. ولكن الطبيعة النظرية للمقدمة حصنتها بما فيه الكفاية من تلك الانزلالات فبدت نادرة فيها وتکاد تتحضر في حقل التاريخ. لكن إذا نظرنا إلى سائر أجزاء كتاب العبر، أي تاريخ ابن خلدون، فسنجد المشهد المنطقي مختلفاً تماماً: فهو لا يختلف عن كل كتب التاريخ الأخرى المبنية -في الغالب- على أسس روائية غير محققة، أو ضعيفة التحقيق. فأين ذهبت العقلية المنطقية الواقادة لابن خلدون عندما ولج ساحة المرويات التاريخية؟

الجواب بسيط، وإن كان الاستدلال عليه يجرنا إلى تفصيلات نرجئها إلى الكتاب الثالث من هذا التحقيق: إن حقل المرويات كثيراً ما يستعصي على القواعد المنطقية. وتطبيق هذه القواعد بشكل مطرد سوف ينتهي لنا حقولاً نقلياً شديداً الاختصار. ولو طبقنا القواعد المنطقية بالصرامة المطلوبة على كثير من الحقول النقلية، مثل: التاريخ والسيرة والحديث الشريف، لتقلصت المادة المستحصلة إلى حد قد يزهد المدققين في الحقل برمتها!

فلا تعجب -إذن- من بعض كبار أعلام الفقهاء عندما يجزمون بنفي الحجية عن أخبار الأحاداد<sup>١</sup>، رامين عرض الحائط بالعدد الأكبر من الحديث الشريف.

\*\*\*\*

---

<sup>١</sup>- راجع تعريف هذا النوع من الأحاديث الظنية ومختصر الكلام في حجيته في شرح البيقونية.

**1.3.2. المبحث الثاني**  
**تحيين تعريف المنطق**  
**في الفضاء المعرفي التكاملي**

\*\*\*\*

**1.2.3.1. البحث الأول**  
**من التعريفات السكونية**  
**إلى التعريف التكاملي للمنطق**

**1.3.2.1. تعريفان سكونيان متكمالان**

إن مباحث التعريف والمعرف وأنواع التعريفات، من صلب الأبحاث المنطقية، ولا ترجى فائدة كبيرة من ورود ساحتها قبل أوانه. لذا، فقد أوكلنا بيان حقيقة التعريف وخصائص التعريف الجيد، من زاوية نظرية عامة، إلى محله في فصله الخاص من الكتاب الأول من المنهاج المقترج. ونكتفي هنا بالإشارة إلى ما هو ضروري لفهم مقتضي تحيين تعريف علم المنطق. ويبداً هذا التحيين بنقل التعريف من فضاءه السكوني الذي أبقياه فيه التراث الإنساني، سواء ضمن حدود الثقافة العربية الإسلامية أو خارجها، إلى الفضاء

التكاملية، حيث تُلحظ كل ظاهرة مرَّبة من حيث هي صيورة تكاملية لا سكون فيها إلا حين التجدد وانتهاء حالة التركيب.

#### \* خصائص التعريف في الفضاء التكامل

المراد من التعريف هو تقرير معنى المسمى من الذهن بحيث:

- لا يختلف حوله اثنان ممن يعتدّ بقولهم.
- ولا يشترك معه في الوصف، أو ينضبط تحت نفس التعريف علم آخر، مما قد يوقع السامع في الخلط بين الموضوع المراد تعريفه وغيره من العلوم.

ولا يجتمع هذان الشرطان إلا عندما يكون التعريف شارحاً للمعنى المراد تعريفه، وجماعاً لكل أفراد هذا الموضوع، ومانعاً لغيرها من الاندراج تحته، ومائزاً للمعرف عن غيره مهما تطور وتكامل عبر الزمن. وهي الشروط المعتبرة عنها بالشارحية والجامعيّة والممانعية والمائزية.<sup>١</sup>

والشرط الأخير هو من اقتضاءات نقل التعريف إلى الفضاء التكامل، ولهذا لا نجد له أثراً في التعريفات الاتباعية.

والتعريف، بقطع النظر عن سكون فضاء المعرفي أو تكامليته، قد يكون وظيفياً، أي: متمحوراً حول بيان دور المعرف ووظيفته، وهو ما قد شرعنا فيه إلى حد الآن. وقد يكون ماهوياً، أي: متمحوراً حول بيان مكونات الموضوع المعرف، وهو ما لم نشر إليه إلا باختصار شديد.

وفي ما يأتي نعرض ثلاثة تعريفات لعلم المنطق، تكون بمجموعها موفقة بجميع أغراض التعريف في فضاء المحيّن.

---

<sup>١</sup> لاحظ تعريفها في: نحو منهجة العلوم الشرعية، أو مدخل عام لمنهجية الفقه. وسيأتي تفصيل الكلام حول التعريفات في محله المشار إليه.

ومما ذكر في الأبحاث السابقة يحصل تعريف أولي بسيط لعلم المتنطق، ومنه يتفرع تعريف ثان أكمل منه. وسوف نستفيد من كليهما لتوضيح الأدوار المتناطقة بعهدة هذا العلم.

### \* التعريف الأولي لعلم المتنطق

التعريف الأولي هو الذي لا يشترط فيه أكثر من الكفاية في شرح المعرف، أي: تحقق شرط الشارحية مع واحد فقط من الشروط الثلاثة الأخرى. ولا ينفع مثل ما عرف به بعض الاتباعيين علم المتنطق، فقالوا أنه علم يبحث فيه عن أحوال المعلومات.<sup>١</sup> فهذا التعريف، وإن كان جامعاً، فإنه لا شارحية فيه. فلا بد أن يكون وضوح بيان التعريف بما يكفي لتقريب الصورة الواقعية للمعرف من الأذهان. وغاية ما يمكن تحصيله من تعريف أولي، مفاده: علم المتنطق هو علم يبحث عن القواعد العامة المشتركة المعتمدة في تأمين التخاطب بين البشر، وفي تمييز الخطاب الصحيح من الخطاب الخطأ. وفائدة هذا التعريف أنه يبرز استلزم تحقق عدة شروط في القواعد التي يهتم هذا العلم ببحثها: فمنها أنها عامة ومشتركة. ومنها أنها معتمدة في التفاصيم. ومنها أنها معتمدة في تمييز الخطاب الصحيح من غيره.

---

<sup>١</sup>- عن كشف الظنون، كما سبق في أدناه.

وباستثناء عنصر "القواعد العامة المشتركة"، الذي يتعلّق بـماهية الموضوع الذي يبحثه علم المنطق، فإنّ بقية عناصر هذا التعريف تنصب على بيان دور هذا العلم، دون ماهيته، كما سيتضح.

#### \* استكمال التعريف الوظيفي لعلم المنطق

لا شك أنّ تطور الحاجة إلى هذا العلم هو الذي ولد نظرية متفاہلة جداً تجاهه، ووصلت إلى حد افتراض كفايته لضمان عدم انحراف الإنسان المفكّر، مطلقاً، وعصمته من الخطأ. وقد اجتهد المناطقة في تعريف هذا العلم في هذا السياق المتفاہل، وقد لخص المناطقة ذلك، منذ ابن سينا، فقيه:

علم المنطق آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن من الخطأ في التفكير.

وقد قرر الشهرياني (548هـ) عن ابن سينا قوله:

"... والفطرة الإنسانية غير كافية في التمييز بين هذه الأصناف، إلا أن تكون مؤيدة من عند الله عز وجل. فلا بد -إذن- للنااظر من آلة قانونية تعصم مراعاتها عن أن يضل في فكره. وذلك هو الغرض من المنطق".<sup>1</sup>

كما أنّ أهمَّ مؤرخي الثقافة الإسلامية الاتباعية كاتب اتشليبي المعروف باسم: حاجي خليفة (1067هـ) يقرر مقاربيين لتعريف العلم، فيقول:

"... تعرف العلوم تارة باعتبار الموضوع، فيقال في تعريف المنطق مثلاً علم يبحث فيه عن أحوال المعلومات. وتارة باعتبار الغاية، فيقال في تعريفه: آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر".<sup>2</sup>

فاما التعريف الأول، وهو الناظر إلى موضوع العلم، فليس تحته طائل يذكر، كما أشير إليه آنفاً، لأنّه ليس بالماهوي المميز له عن غيره ولا بالوظيفي الموضّح لدوره.

<sup>1</sup>- المثل والنحل، الشهرياني، ج. 2، ص 159.

<sup>2</sup>- كشف الظنون، حاجي خليفة، ج. 1، ص. 7.

وأما الثاني، وهو الأشهر على لسان المناطقة، قدّها وحدّي<sup>1</sup>، فهو يعادل القول بأن المتنطق علم آلي متشكل من مجموعة من القواعد التي تعصم مستعملها من الخطأ في التفكير.

وفائدة هذا التعريف أنه يضع هذا العلم في إطاره المعرفي السكوني، أي مجموعة المعارف الآلية، التي جعلت لخدمة علوم أخرى، دون فائدة لها مقصودة في حد ذاتها.

ولكن، هل يستطيع هذا التعريف تغطية تطورات الموضوع؟ وبعبارة أخرى: هل بقي موضوع علم المتنطق ساكناً، حتى يستقر عليه مثل هذا التعريف الذي لا مائزية فيه؟

وعلى فرض سكون الموضوع، جدلاً، هل تكفي هذه الآلة القانونية، حقاً، لضمان عصمة مستعملها من الخطأ في التفكير؟

هذا هو المطلوب من علم المتنطق. ولكن دون تحققه موانع عده، سوف يكون هناك مجال مناسب لبحثها في آخر كتب هذه المجموعة.

#### 1.3.2. استكمال التعريف الماهوي لعلم المتنطق

إن ما مر من محاولات لتعريف علم المتنطق، تدور -أساساً- حول محور وظيفته ضمن مختلف حقول المعرفة البشرية. وهو ما يميز التعريف الوظيفي، الذي لا يهتم كثيراً بماهية الشيء المعرف، ويركز على دوره ووظيفته ضمن إطاره الوجودي المعرفي. وما أن تُطرح مسألة الانتقال إلى الفضاء التكاملـي، حتى تظهر الحاجة إلى التعريف الماهوي الذي ينظر إلى ماهية الموضوع قبل وظائفه المعرفية.

---

<sup>1</sup>- نجد هذا التعريف في معظم كتب المتنطق، وأخرها المتنطق لـمحمد رضا المظفر.

فلا شك أن استكمال التعرف على هذا العلم يتطلب الانكباب على ماهيته، بعد أن تحددت وظيفته في الفضاء السكوني.

والتعريف الماهمي لأي علم يتطلب توضيح غرضه، أولاً، ثم منهجه في تحصيل نتائجه، ثم استعراض الخصائص العامة لحقل مقولاته.

وهذه الأبعاد الثلاثة المقومة للعلم يمكن أن تكون موضوعاً للبحث في كلا الفضاءين السكوني والتكمالي. وفي ما يأتي، سنكتفي بالبحث الضروري للتحسين، وهو منحصر في الفضاء التكمالي<sup>1</sup>.

### \* أغراض علم المنطق \*

حينما يفكر الإنسان، قد يهتدى إلى نتائج صحيحة تكون مقبولة عند غيره، وقد ينتهي إلى نتائج خاطئة وغير مقبولة عند غيره. كما أنه قد يهتدى إلى نتائج خاطئة ولكنها مقبولة عند غيره، أو صحيحة ولكنها غير مقبولة عند غيره.

فالتفكير الإنساني معرض بطبيعته للخطأ والصواب، ونتائجـه الفكرية معرضة بدورها للقبول أو للرفض، بقطع النظر عن صحتها أو خطئها. ولأجل أن يكون التفكير سليماً، وتكون نتائجهـ صحيحة، أصبحـ الإنسان بحاجةـ إلى قواعدـ عامةـ تهيـئـ لهـ مجالـ التفكير الصحيحـ إنـ سارـ علىـ ضوئـها، وتمـكـنـ مخاطـبهـ منـ تقيـيمـ ماـ يـنـتجـهـ منـ فـكـرـ تقـيـيـمـاـ منـصـفاـ ودـقـيقـاـ، فـلاـ يـقـبـلـ ماـ كـانـ غـيرـ صـحـيـحـ، وـلـاـ يـجـدـ ماـ كـانـ مـنـهـ صـحـيـحاـ.

وتقيـيمـ هذاـ الحـصـادـ الـفـكـريـ، هوـ الـهـدـفـ النـهـائـيـ منـ عـلـمـ الـمـنـطـقـ، وـهـوـ يـظـهـرـ بـجـلـاءـ فيـ آخـرـ مـبـاحـثـهـ، أيـ عـنـ تـقـيـيـمـ "الـصـنـاعـاتـ الـفـكـرـيـةـ".

وـمـنـ هـنـاـ، عـدـ عـلـمـ الـمـنـطـقـ: الـأـسـاسـ الـوـحـيدـ الـمـأـمـونـ، وـالـمـنـطـلـقـ الـأـوـلـ لـتـقـيـيـمـ الـمـعـارـفـ الـبـشـرـيـةـ.

---

<sup>1</sup>- بحث المسألة في الفضاء السكوني ليس له سوى فائدة تاريخية. ومجالها هو تاريخ العلم.

فبتعلمـنا قواعد المـتنطق نستطيع أن نـقـد الأفـكار والـنظـريـات العـلـمـيـة فـنـتـبـئـ أنـواعـ الخطـأ الـواقـعـ فـيـها وـأنـ نـتـعـرـفـ عـلـىـ أـسـبـابـها.

وـحـيـثـ أـنـ مـتـعـلـقـ التـقيـيمـ، وـهـوـ الفـكـرـ البـشـريـ، صـيـرـوـرـةـ تـكـامـلـيـةـ مـسـتـمـرـةـ، فـلـاـ بـدـ أـنـ يـكـونـ مـعيـارـ التـقيـيمـ مـرـنـاـ وـقـابـلـاـ لـلـتـطـورـ هـاـ يـكـفيـ لـتـبـلـيـةـ جـمـيعـ الـحـاجـاتـ التـقـيـيمـيـةـ الـمـسـتـجـدـةـ.

مـنـ هـنـاـ، تـطـرـحـ إـشـكـالـيـةـ تـجـدـيدـ القـوـاءـدـ الـمـعـتـمـدـةـ مـعـيـارـاـ لـلـتـقـيـيمـاتـ. فـهـلـ عـلـمـ الـمـنـطـقـ مـسـؤـولـ عـنـ تـجـدـيدـهـ؟ـ أـمـ هـيـ قـوـاءـدـ سـاـكـنـةـ ثـابـتـةـ، كـمـ تـصـوـرـهـاـ الـمـنـاطـقـ الـاتـبـاعـيـونـ؟ـ

الـاستـقـراءـ يـفـرـضـ عـلـىـ كـلـ مـتـبـعـ التـسـلـيمـ بـوـاقـعـيـةـ التـكـامـلـ، وـبـضـرـورـةـ تـطـورـ قـوـاءـدـ التـقـيـيمـ، وـهـيـ الـتيـ أـطـلـقـ عـلـيـهاـ قـدـيـماـ اـسـمـ "ـالـآلـةـ الـقـانـونـيـةـ".ـ فـيـتـحـصـلـ مـنـ هـذـاـ وـجـوبـ تـحـيـنـ الـقـسـمـ الـأـوـلـ مـنـ الـتـعـرـيفـ الـاتـبـاعـيـ:ـ فـنـقـولـ:ـ عـلـمـ الـمـنـطـقـ آلـةـ قـانـونـيـةـ مـتـغـيـرـةـ بـحـسـبـ الـحـاجـةـ،ـ تـعـصـمـ...ـ

### \* منهج علم المـنـطـقـ

إـذـاـ التـقـطـنـاـ صـورـةـ سـاـكـنـةـ عـنـ مـنهـجـ الـمـنـاطـقـ،ـ وـجـدـنـاـ مـنهـجـ عـلـمـ الـمـنـطـقـ يـتـركـبـ مـنـ عـدـدـ أـدـوـاتـ،ـ أـهـمـهـاـ:

أـولاـ:ـ السـيرـ مـنـ الجـزـئـاتـ إـلـىـ الـكـلـيـاتـ،ـ أـيـ الـاستـقـراءـ.

ثـانـيـاـ:ـ السـيرـ مـنـ بـعـضـ الـكـلـيـاتـ إـلـىـ الـبـعـضـ الـآـخـرـ بـطـرـيـقـ الـمـلـازـمـاتـ.

ثـالـثـاـ:ـ السـيرـ مـنـ الـكـلـيـاتـ إـلـىـ الـجـزـئـاتـ بـطـرـيـقـ الـقـيـاسـ.

وـسـيـأـيـ تـعـرـيفـ هـذـهـ الـطـرـقـ فـيـ إـنـتـاجـ الـمـعـرـفـةـ ضـمـنـ فـصـلـهـ الـخـاصـ.

وـالـخـلاـصـةـ هـيـ أـنـ مـنهـجـ عـلـمـ الـمـنـطـقـ لـاـ يـمـكـنـهـ أـنـ يـكـونـ أحـدـيـ الطـرـيقـةـ،ـ لـأـنـهـ عـلـمـ

يـرـيدـ أـنـ يـكـونـ جـامـعاـ لـأـدـوـاتـ التـحلـيلـ وـالـتـركـيبـ الـعـقـليـ،ـ كـمـ سـيـتـضـعـ فـيـ مـحـلـهـ.

أـمـ إـذـاـ أـرـدـنـاـ أـخـذـ مـعـطـيـ التـكـامـلـ بـعـينـ الـاعـتـبارـ،ـ فـهـذـهـ الصـورـةـ الـمـخـتـلـزةـ لـاـ تـبـدـوـ كـافـيـةـ.

فـلـيـسـ فـيـ هـذـهـ الـقـائـمـةـ،ـ وـمـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـلـحـقـ بـهـاـ مـنـ أـدـوـاتـ اـتـبـاعـيـةـ مـعـرـفـةـ،ـ كـالـتـمـثـيلـ،ـ مـاـ

يـمـكـنـ الـمـنـطـقـيـ مـنـ تـقـيـيمـ الـدـرـاسـاتـ الـاسـتـشـارـيـةـ،ـ مـثـلاـ.

فالدراسة الاستشرافية تقوم على أساس استشراف للمعطيات المستقبلية بناء على ضبط سابق لحركة تطورها. فكيف للأدوات الساكنة أن تستوعب صيورة تكاملية كهذه؟ هنا، لا مناص من الإذعان لضرورة إضافة أداة مناسبة لتقدير الصيورات، وهي: حساب الاحتمالات.

فمن أوكد ما يجب فعله على الراغب في تعزيز علم المنطق إدراج دراسة حجية حساب الاحتمالات ضمن الأدوات التي يبحثها. وهكذا، يمكننا توسيع قائمتنا المختلطة لتشمل أربعة أدوات رئيسية، رابعها حساب الاحتمالات.

### \* موضوع علم المنطق وحقل مقولاته

ما أصبح متتفقاً عليه بين متآخري العهد الاتباعي أن موضوع كل علم هو ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية. وقد شرح حاجي خليفة هذا المعنى بقوله:

... واعلم أن السعادة الإنسانية، لما كانت منوطـة بمعرفـة حقـائق الأشيـاء وأحوالـها بـقدر الطـاقة البـشرـية، وكانت الحقـائق وأحوالـها مـتكـثـرة مـتنـوـعة، تـصـدـى الأـوـاـئـل لـضـبـطـها وـتـسـهـيل تـعـلـيمـها فـأـفـرـدـوا الأـحـوالـ الذـاتـية الـمـتـعـلـقـة بـشـيء وـاحـد أو بـأشـيـاء مـتـنـاسـبة وـدـونـوها عـلـى حـدـة وـعـدـوها عـلـما وـاحـدا. وـسـمـوا ذـلـك الشـيء أو الأـشـيـاء مـوضـوعـا لـذـلـك الـعـلـم؛ لأن مـوضـوعـات مـسـائـله رـاجـعـة إـلـيـه. فـمـوـضـوعـ الـعـلـم مـا يـنـحـل إـلـيـه مـوضـوعـات مـسـائـله. وـهـو الـمـرـاد لـهـم في تـعـرـيفـه بـهـما يـبـحـثـ فيه عن عـارـضـه الذـاتـية<sup>1</sup>.  
وكـذـلـك فـقـد اـتـفـقـ جـمـهـورـ الـاتـبـاعـيـنـ عـلـى وـحدـة الـمـوـضـوعـ فيـ كلـ عـلـمـ، وـيـقـرـرـ حاجـي خـلـيـفة ذـلـك بـقـولـهـ:

<sup>1</sup>- لاحظ: كشف الظنون، ص.6

"فصار كل من الأحوال بسبب تشاركتها في الموضوع علماً منفرداً ممتازاً بمنفسه عن طائفة مشاركة في موضوع آخر. فتمايزت العلوم في أنفسها ب موضوعاتها. وهو تمايز اعتبروه مع جواز الامتياز بشيء آخر، كالغاية والمحمول. وسلكت الأواخر أيضاً هذه الطريقة الثانية في علومهم وذلك أمر استحسنوه في التعليم والتعلم؛ وإلا فلا مانع عقلاً من أن يُعد كل مسألة علماً برأيه، ويفرد بالتعليم والتدوين، ولا من أن يُعد مسائل متکثرة غير مشاركة في الموضوع علماً واحداً يفرد بالتدوين وإن تشاركت من وجه آخر، ككونها مشاركة في أنها أحكام بأمر على أخرى. فعلم أن حقيقة كل علم بدون المسائل المشاركة في موضوع واحد وأن لكل علم موضوعاً وغاية كل منها جهة وحدة تضبط تلك المسائل المتکثرة وتعد باعتبارها علماً واحداً. إلا أن الأولى جهة وحدة ذاتية والثانية جهة وحدة عرضية"<sup>1</sup>.

والذي يترشح من تعريف الموضوع، هو أنه "العنوان الجامع لموضوعات مسائله". وليس "العنوان الجامع لمحمولات مسائله". لأنَّ غاية ما يُدُون تحت هذا الشعار لا يكون إلا كشكولاً متنوعاً ذا موضوعات مختلفة، كما هو حال الكشاكيل. وبهذا الاعتبار يمكن القول أنَّ موضوع علم المنهج هو "القواعد المشتركة ذات الصلاحية النظرية لتقدير التفكير الإنساني". وهو عنوان جامع لموضوعات مسائل هذا العلم بدون استثناء، حتى ما هو محل جدل منها، وما يمكن أن يدخل فيها بحكم تطور الحقول المعرفية الأخرى.

\*\*\*\*

<sup>1</sup> لاحظ: كشف الظنون، ص 7.

### 1.3.2.2. البحث الثاني

#### نظرة على حقل المنطق

##### 1.3.2.2.1. محاور الحقل المنطقي المحيّن

ينقسم موضوع علم المنطق، بانقسام حقل مقولاته، إلى خمسة محاور، هي عناوين كلية لخمسة أقسام، ثلاثة منها اتباعية، والاثنان الآخران مستحدثان. وهذه الأقسام هي: التصورات وتعريفاتها وألسن المترابطة الصرف، والقضايا وأحكامها، والاستدلال وصناعاته، ومناهج البحث.

وتوضيح ذلك أن علم المنطق، حسب تعريفه الثاني والأكمل، يفترض فيه أن يهين لنا خمس مجموعات متGANسة من القواعد، وكل مجموعة منها تمحور حول إشكالية محورية مستقلة، تمثل أمهات قضايا المنطق.

##### \* إشكالية مقاربة التصورات

الموضوع الأول الذي يبحثه علم المنطق اتباعيا هو بحث التصورات، بعد الفراغ من انقسام العلم إلى تصور وتصديق. وبعد استقرار الاصطلاحات الصوفية في الثقافة الإسلامية، خاصة بعد الطفرة الأكيرية<sup>1</sup>، أصبح من

<sup>1</sup>- نسبة إلى "الشيخ الأكير" وهو محي الدين بن العربي الذي شهد التصوف على يده نقلة نوعية جعلته نوعا فلسفيا جديدا، وأهم مؤلفاته فصوص الحكم، وعليه عدة شروح أساسها شرح محمد داود قيسري رومي، وهو مطبوع.

الضروري النظر في انقسام العلم إلى حصولي وحضورى، وما ينجر عن ذلك من تصورات حضورية وتصورات حصولية.

أما المسألة المطروحة وراء كل هذه البحوث، فهي تتلخص في كيفية مقاربة التصورات بغرض جعلها قابلة للمعالجة التقييمية، ومن هنالك تُطرح إشكاليات فرعية مثل: كيف نحصل على أفضل عنونة ممكنة؛ وكيف نفرز التصورات بعضها عن البعض الآخر؛ وكيف نرتبها الواحدة بالقياس إلى الأخرى... الخ. وفي كل هذا يبقى البحث المحوري هو بحث التعريف وأقسامه وعناصره التي يتقوّم بها.

#### \* إشكالية تقييم الارتباطات

بعد توضّح إشكالية التعريف تُطرح إشكالية ثانية ناشئة عن الحالة الارتباطية سواء بين التصورات، أو بين المعاني التصورية للتصديقات. ومن أهم ما ينجر عن ذلك من إشكاليات فرعية إشكالية الارتباط بين الدلالات وإشكالية تمييز حالات التخالف في الفضاء التكاملـي، بعد ظهور النقص في المفاهيم التخالـفية السكونـية.

#### \* إشكالية مقاربة القضايا

من أهم عناصر التراث المـنطـقـي الـاتـبعـي بـحـثـ القـضـاياـ وأنـواعـهاـ وأـحـكـامـهاـ. والـذـيـ بدـاـ مـحـتـاجـاـ إـلـىـ التـحـيـنـ هوـ القـسـمـ التـثـمـيـنـيـ منـ الـبـحـثـ، وـهـوـ الـمـسـؤـولـ عنـ تـرـتـيـبـ القـضـاياـ بـحـسـبـ سـلـمـ تـثـمـيـنـ المـعـلـومـاتـ. وـهـوـ مـنـ أـهـمـ الـأـبـحـاثـ التـيـ لـهـاـ مـسـاسـ مـبـاـشـرـ بـالـإـسـتـدـلـالـاتـ.

ومن أهم الإشكاليات الابتاعية المبحوثة في هذا القسم العلاقات بين القضايا، من تناقض وتضاد وعكوس وما يستفاد منها في باب الاستدلال. وهذا البحث يركز على هذا القسم والقسم الذي يليه، أي: الاستدلالات.

#### \* إشكالية تقييم الإثبات والاستدلال

على هذا المستوى تصبح المقولات المنطقية معبرة بشكل مباشر عن الغرض العام للعلم؛ ففيه تبرز كفاية هذا العلم من عدمها، ويمكن اختبار نجاعة البحث المنطقي من خلال معاينة التطبيقات المباشرة لقواعد الاستدلال على مختلف الموضوعات، في شتى مجالات استعمالها.

وفي هذا القسم من المقولات، نجد جميع القواعد المنظمة لعمليات الإثبات أو النقص. وهي المعيار الذي يسلم به المخاطبون والمتعاملون بالمعلومات مهما كانت ظروفاتهم. ولا يخرج عن هذا الاتفاق العام إلا من شدّ عن سواد الناس بعامتهم وعلمائهم، واختار لنفسه مسلكاً لا يحتاج فيه إلى مخاطب ولا إلى مناقش، إلا أن يكون قد انتهج نفس مسلكه.

#### \* إشكالية المنهجة وتقييم مناهج البحث

من أهم مقاطع التجديد في هذا التحين هو إدراج قواعد منهجية البحث العلمي في أبحاث المنطق. والمقصود بقواعد المنهجة، كل القواعد المشتركة التي يسلم بها الباحثون في شتى الحقول العلمية ويعتبرونها معياراً عاماً تقاس عليه مسالكهم البحثية. ويُطلق مصطلح "المنهجة" على عملية اختيار طريقة البحث العلمي المناسبة في كل حقل من حقول المعرفة.

وعلى هذا المستوى، يعلمنا المنهج كيف نبحث المعلومات بحثاً منظماً يبعد البحث عن العقم أو الوقوع في الخطأ بسبب عدم ملاءمة المنهج للموضوع.

### ١.٢.٣.٢. أهمية قسم المنهجة وآفاقه

لعل أهم ملامح التجديد في مشروع التحدين هذا، هو ما يتضمنه القسم الأخير من مقولات الحقل المنشطي. وتكون أهميته في راهنيته من جهة، وفي كثرة ما يترتب عن بحوثه من ثمرات عملية هامة، من جهة أخرى.

ومثال ذلك: إذا أراد باحث اجتماعي دراسة ظاهرة اجتماعية نفسانية، مثلاً، لا بد له، إن هو تسلح بعلم المنهج، أن ينظر في تناسب حقل بحثه مع المنهج الذي يريد اعتماده. فإذا كان يريد اعتماد المنهج التجريبي المتعاضد بالمعالجات الكمية المرقمة، وهو المنهج المعتمد في الطبيعيات، فعليه أن يعي جيداً الفرق بين الظواهر الطبيعية الخالية من الإرادة الذاتية، والظواهر الاجتماعية حيث تكون الإرادة الذاتية لأفرادها وجماعاتها أدوار مصيرية فيها.

وقد عانت البشرية كثيراً من محاولات تطبيق المنهج التجريبي المذكور في مجالات اجتماعية. فوصلت نظريات اقتصادية واجتماعية اجتهد أصحابها في شكلتها إلى طريق مسدود، وأوصلت المجتمعات التي أرادت تطبيقها إلى أزمات خانقة. ولهذا، فإن المنهجية لا بد أن تبتعد عن التعميم والتنميط، وهو إدراج الموضوعات المتشابهة في أنماط موحدة. بل إن المطلوب هو العكس تماماً: فعلم المنهجية هو العلم بالقواعد التي يجب أن تراعيها منهجة البحث.

ومن هنا بُرِزَت الحاجة إلى تأسيس متنوع لعلم المناهج، عمدته إجراء تطبيقات لقواعد مختصة بحقول معينة.

### ١.٢.٣. الطبيعة الانسيابية لعلم المناهج

يتحصل مما مر أنه يمكن اعتبار علم مناهج البحث علماً قاماً بذاته، له مقوماته، و بإمكانه الاستقلال عن المنطق، لكن من خلال التطبيقات المختصة. فالقدر المتيقن المشترك من قواعده يمكنها أن تبقى ضمن "المنطق التكاملـي"، للمناسبة القوية بين مقولات المنهجة وسائر مقولات المنطق، إلا أن التطبيقات المختلفة لهذه القواعد في شتى حقول المعرفة، تجعل منها ظاهرة انسيابية سالية لا تأبه كثيراً للحدود بين الحقول. فبمُحض اتساع الحاجة إلى مزيد من التطوير في هذه الحقول، وهو ما حصل فعلًا مع علوم الفقاهة، فشهد تدوينه تحت عنوان يعكس خصوصية حقله: "منهجة الفقاهة".

مع هذا، فليس لنا أن ندعى تحقق انشعاب علمي فعلي لعلم مناهج البحث عن علم المنطق: فالذى لا بد من الانتباـه إليه هو أن مشروعية هذا الانشعـاب العلمي معلقة على تحقق تمـايـز مناهجي وأغراضـي يـيرـر ذلك. وهو ما تحقق فعلاً لعلم المناهج في حقل الفقاهة، كما يتضح من مجموعة "منهجـة الفقاهـة".

\*\*\*\*

## 1.4. الفصل الرابع

### تاريجية تحين المنطق في الفضاء العربي الإسلامي

\*\*\*\*



#### **1.4.1. المبحث الأول**

##### **المنطق العربي الإسلامي**

**بين التأسيس القرآني والاقتباس اليوناني**

\*\*\*\*

#### **1.4.1.1. البحث الأول**

**الظاهرة المنطقية العربية**

**أمام التحليل الوظيفي**

#### **1.1.4.1. مراجعة تاريخ تأسيس المنطق**

إن الثراء الكبير الذي اكتسبه علم المنطق خلال إمساك العرب والمسلمين بناصيته كان دوماً موضوعاً لتحليل وصفية أو نقدية سواء كانت مبرزة للجوانب المشرقة في عطاء الحضارة العربية الإسلامية، أو مشكّلة فيها. لكن كل تلك التحاليل كانت تصدر من زاوية نظر المستشرقين الذين هيمنت عليهم العقيدة الأورو-مركزية(eurocentrisme) المبنية على الاعتقاد بمحورية

الثقافة اليونانية في كل العطاء الفكري البشري<sup>١</sup>. وإذا تماشينا مع هذا النسق الفكري الرائع، وسعينا إلى تطوير أدوات تحليله بتطبيق منهج التحليل الوظيفي، على غرار ما قمنا به في حقل علم الفقه في إطار مجموعة "منهجية الفقاهاة"، وخاصة الكتاب الثاني منها<sup>٢</sup>، سوف ينحصر الكلام في عدّة أطوار تاريخية مرّ بها المنطق المقتبس من المنطق الأرسطي منذ استيعابه -بالترجمة والتبيّن- في الفضاء المعرفي العربي الإسلامي في نهاية القرن الثاني للهجرة، دون أن يكون لهذا التحليل حظوظ حقيقة في اكتناه الظاهرة على حقيقتها.

وبدون مراجعة تعريف علم المنطق، بحيث يأخذ بالاعتبار ما مرت الإشارة إليه في الفصل السابق، على الأقل، فإن هذا التحليل سيقى قاصراً عن إدراك حقيقة الظاهرة المنطقية في الفضاء العربي الإسلامي، وعاجزاً عن رؤية تاريخ الولادة الحقيقية للمنطق الإسلامي.

لذا، كانت مراجعة هذه النظرة نفسها، من أهمّ مراحل بداية تحيسن علم المنطق، وبدونها لا يصل المشروع إلى أغراضه.

### \* فرضية الأطوار الثلاث

بقراءة قياسية للمنطق على الفقه، يمكن أن يقال أنه في حين شهدت معظم مدارس الفقاهاة أربعة أطوار فقهية كاملة، وما تزال بعض مدارس الفقه الأخرى<sup>٣</sup> متعددة في ولوج الطور الخامس منها، فإن خصوصية علم

<sup>١</sup>- من أجل أخذ فكرة مختصرة عن هذه العقدة وبعض مظاهر خطورتها، لاحظ كتاب من أجل حوار بين الحضارات للمرحوم روجيه غارودي. كذلك لاحظ مقدمة المرحوم محمد مزالي على طبعة دار عويدات لهذا الكتاب.

<sup>٢</sup>- وهو كتاب: كليات منهجة الفقه وأصوله.

<sup>٣</sup>- لقد فرضت التحديات الخارجية على أهم مدارس الفقه الإسلامي الدخول في طور فقهى جديد متميز بمقاربة ثبوتية أو توازنية على الأقل ولم تختلف عن المسيرة سوى الأوساط الفقهية الواقعة تحت التأثير الحشوّي، وخلافاً لما يمكن تصوّره فإن هذه الظاهرة تتعدى حدود المدرسة الحنبليّة وتشمل كل المتعاطين مع شعارات المحدثين الحشوين من مختلف مدارس الفقه.

المنطق من حيث هو علم آلي لمجمل الفكر الإنساني قد فرضت عليه مسيرة أكثر هدوءاً؛ وأنها لم تشهد سوى ثلاثة أطوار علمية ظلت بمنأى عن دواعي التغييرات الجوهرية العميقة.

ولكنَّ الحقيقة أنَّ هدوء مسيرة تطور علم المتنطق كانت خداعاً إلى حد ما: فإذا لم يتوجَّ الملاحظ منهج التدقيق والمراجعة النقدية، قد لا يظهر له من استقراء تطورات هذا العلم ضمن الفضاء العربي الإسلامي إلا طوران كبيران؛ وعلى أحسن التقديرات، قد يقال بتأسيس طور منطقي ثالث في كفَّ الحركة الإصلاحية الفكرية التي شهدتها العالم الإسلامي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر للميلاد، وهي دعوى يحتاج التحقيق فيها إلى بحث خاص ليس هنا مجاله.

علاوة على هذا، لا بد من الأخذ بعين الاعتبار اقتضاءات النهضة الأوروبية وإفرازاتها النقدية<sup>١</sup>: فخارج إطار الفضاء الثقافي الإسلامي قد ظهرت محاولات لتأسيس أنهاط منطقية جديدة لا يمكنها أن تُحسب على المتنطق الصوري الذي يختص به كلامنا في هذه المجموعة.

#### \* مشكلة اختزال التصور الأساسي للمتنطق

لا شكَّ أنَّ اختزال مسيرة المتنطق ضمن الفضاء العربي الإسلامي على هذا النحو لا يكون ذات قيمة، ولو جدلية، إلا بثمن علمي باهظ، وهو اختزال

ولهذا التيار عداوة خاصة مع المتنطق، ورثها عن قراءة خاصة لكتابات ابن تيمية الناقدة للمتنطق.

<sup>١</sup>- هذا ما دعا إليه دعاة التقليد من السطحيين. لاحظ مثلاً: ما هي النهضة؟ لسلامة موسى. كما يجد الآلasmus في كتاب منطاد الاقتصاد، على تقسيمنا النقدي لتقرير سلامة موسى للنهضة، ولا يفوتن القارئ ملاحظة الارتباط الوثيق بين المشروع الثقافي النهضوي ومنطق رأس المال.

التصرّف الأساسي لعلم المنطق في شكله الذي اقتبسته عليه الحضارة العربية الإسلامية من ثقافة اليونان.

وهذا الاختزال يستبطن مصادرة خطيرة ، هي نفس تلك التي وقع فيها أهم خصوم المنطق المعروفين، من أمثال أبي سعيد السيرافي(368هـ) وهو الذي بنى عليها أهم أدوات حملته على علم المنطق، وهي التسلیم بغلبة تأثير المنشاً اليوناني للمنطق على مضمونه، وارتهان العلوم العقلية الإسلامية بحركة الترجمة من اليونانية والسريانية إلى العربية.

ولذا، وجب كشف هذه المصادر، وتصحيح ذلك الاعتقاد الرائق قبل السيرافي وبعده.

#### \* توضيح مصادرة السيرافي

في الكتاب اللاحق سوف نستعرض مناظرة شهرة نظمها وزير عباسي بين أحد أبرز خصوم المنطق في القرن الرابع وهو أبو سعيد السيرافي ورئيس المناطقة في عصره، متى بن يونس، وهنالك سوف نكتشف أهم أبعاد الصراع الذي اندلع بين مشروعين ثقافيين متضادين بلغ صراعهما أوجه في ظل الدولة البوهيمية. وعلى هذا المستوى، لا بدّ من الانتباه إلى أنّ جميع عناصر احتجاج السيرافي على متى بن يونس كانت معروفة بشكل أو آخر قبله، وقد أشار هو نفسه إلى قدم ظاهرة السعي لإهانة المنطق والمناطقة، بإشارته إلى أبي العباس الناشئ. والأهم من هذا الشاعر وقصائده الشهيرة في ذمّ المنطق وأهله، هو ما استقر في الأذهان من نسبة ذمّ المنطق إلى أحد أكبر أئمة الفقه، وهو الإمام محمد بن إدريس الشافعي (204هـ) حيث نقل عنه ما وقع تأويلاً على نحو يناهض المنطق وأهله ويجعل موقفهم أمام العوام في غاية الحرج<sup>١</sup>.

<sup>١</sup>- لاحظ الجهد المشكور للأستاذ سعيد فوده في ردّ جميع التهم والأقوال التي تصبّ في هذا الاتجاه، في كتابه القائم: تدعيم المنطق، وهو متاح على موقعه في الشبكة الالكترونية، جازاه الله خيراً.

والإنصاف أنَّ محور معظم الإشكالات على المتنطق، وهو الارتباط بين الثقافة اليونانية والمتنطق، يمكن أن يتزلزل بأدنى تأمل: فالحقيقة أنه ليس هناك ارتباط عضوي ضروري بين ثقافة اليونان من جهة، والمتنطق الذي عرفنا أصوله الإنسانية، رغم نجاح أرسسطو اليوناني في تدوينه لأول مرة في تاريخ الإنسانية، من جهة أخرى.

فقد كان من الطبيعي أن يتم ذلك التدوين بلغة المدون، لا بلغة قوم آخرين. على أن العلاقة بين العلم المدون ولغة التدوين موضوعية بحتة، وهي من نوع علاقة الطرف بالمنظروف.

ومن مظاهر تحقق هذا النوع من العلاقة: المصطلحات والأمثلة التي لا يُعقل خروجها عن مألوف لغة المدون.

لكنَّ هناك عنصراً ثانياً قد يكون أولى بالنظر من المسألة الاصطلاحية اللغوية: فلا شك أنَّ الشكل الظاهري الذي يتخذه هذا العلم متأثر -قليلاً أو كثيراً- بظرف تدوينه. وحول هذا العنصر بالتحديد، وجوب التوقف، لأنَّه مربط الفرس في تحليل الظاهرة المتنطقية بعيداً عن إشارات الاقتباس اليوناني التي لا تعترف إلا بشكل واحد، هو ما ورثه المترجمون عن المصدر اليوناني.

#### ٤.١.٤.٢. المتنطق بين التكتل والانباث

في الظرف اليوناني اكتسب المتنطق شكل العلم المكتدل، أو: المدمج (compacte). وهذا الشكل المكتدل هو الذي أعطاه موقعه المتميز في الثقافة اليونانية حيث كانت الفلسفة تعتبر أمَّ العلوم.

وليس هناك أي موجب لتصور بقاء المتنطق على شكله الكتلي هذا في ظرف آخر، كالظرف العربي الإسلامي، حيث يُعتبر علم الفقه أشرف العلوم. وسيأتي أن المتنطق في الفضاء المعرفي الإسلامي قد تبلور في شكل بعيد كل البعد عن ذلك الشكل المدمج، وهو شكل يصدق عليه تسمية المتنطق المنفجر (Eclaté)، واجتناباً لما يحمل من شدَّة وقع هذه التسمية اختناً تسميتها بالمتنطق المنبث.

### \* الخلفية المعرفية للشكل

الحقيقة أن رد ذلك المقدار من إشكالات السيرافي وأمثاله لا ينفي المشكلة المعرفية (الإبستمولوجية). فانتفاء المعلولية الثقافية بين المنطق وظرف تدوينه، إجمالاً، لا يعني أن مدوني المنطق على مر التاريخ، وأولهم أرسطو اليوناني، قد وفقوا في مهمة الفصل بين الظاهرتين: اللغوية الثقافية من جهة، والعلمية المنطقية، من جهة ثانية، كما يقتضيه غرض علم المنطق نفسه. لهذا، وجب النظر بإنصاف إلى هذه المسألة المعرفية الدقيقة، حتى يتبيّن نصيب المدّون في ما قد يكون واقعاً من الارتباط غير المطلوب بين الظرف والمظروف.

ومهما يكن من تشكيكات أو مشاغبات إنسانية لا مجال هنا لعرضها ولا لردها، فإنَّ الحقيقة التي لا مراء فيها هي نفس ما أوضحتناه آنفاً، عند تحيّن تعريف علم المنطق، من حيث كونه أداة إنسانية عامة لا يستغنى عنها فكر بشري إلا من باب اللجاجة والجحود. فربط علم المنطق بلغة اليونان ينمُّ عن إحدى حالتين: فإما أن يكون تقريراً لنوع الظرف، وكشفاً عن تأثيره. وهو ما لا أهمية له إلا بمقدار ضعف المدّون أمام اقتضاءات عوارضه الخاصة، وعجزه عن إنجاز التدوين الموضوعي المطلوب.

وإما أن يكون من باب التجني واللجاجة الصرفة. على فرض استحالة الجهل المركب في حق المعتبر، من أمثال السيرافي<sup>١</sup>.

والإنصاف هو الاعتراف بأن هجوم السيرافي، ومن ورائه مجمل خصوم المنطق، كان مزيجاً من هذين العاملين معاً: فلا شك أن المنطق الذي كان يميليه متى بن يونس على طلابه كان خليطاً من ثقافة اليونان وتعاليم المنطق الصرفية، سواء كان هذا من نوافع الترجمة أو من مسامحات المدونين الأوائل.

<sup>١</sup>- لاحظ تقرير أبي حيان التوحيدى (٤٠٠هـ) له بعد تقريره لتلك المناقضة الشهيرة في كتاب الإمتاع والماؤنسة، ج ١، ص ٣٦.

والقدر المتيقن من التأثير الثقافي في المضمون المنشق، هو الشكل المدمج الذي اكتساه علم المنهج رغم كونه يفترض فيه إحراز الحد الأقصى من حظوظ العمليانية والنجاعة، هذه الحظوظ التي يجوز التشكيك في استكمالها بدون انبثاث القواعد المنشقة في كل الحقول العلمية التي تحتاجها حتى يتمكن كل باحث في حقله من صياغتها وفقاً لمتطلبات هذا الحقل.

#### \* تجديد الشكل والتأسيس المنشق

يتحصل مما مر ضرورة تجريد علم المنهج عن ظرفه الإنساني عامه، وخاصة البعدين العقائدي واللغوي في تراث المدون. وبهذا التجريد تتبيّن حقيقة المنهج من حيث هو مجموعة من القواعد العقلية الصرفة، غير القابلة للتخصيص بأي ظرف، هدفها ما بيّنه غرض العلم ومنهجها عقلي صرف، لا يخلله شائبة من علم نقل أو شهودي ذاتي. وهكذا، ينتقل الكلام من موضوع تقليدي لا طائل تحته، هو نسبية المنهج أو إلacticته، إلى موضوع آخر ترتفع به شبهات السيرافي وأبن تيمية وأمثالهما، وهو "شروط التدوين الموضوعي للمنطق". وبهذا الاعتبار، يكون كل تدوين جديد يستهدف صياغة القواعد المنشقة وشكل ترتيبها تأسيساً جديداً لهذا العلم<sup>1</sup>. ومع كل تأسيس جديد ينطلق طور علمي جديد.

\*\*\*\*

<sup>1</sup> من الجدير بالتنوية إلى أن الباحث الأستاذ علي سامي النشار كان من أول المنتبهين إلى موقع المنهج المنشق من العلوم الشرعية رغم كونه رأى في علم الأصول بدلاً إسلامياً عن المنهج اليوناني. وفي الأجزاء اللاحقة من عملنا هذا سوف نعود لتقدير هذا الموقف الخاص. لاحظ كتاب مناهج البحث عند مفكري الإسلام، ص 77-177.

#### **١.٤.١.٢. البحث الثاني**

**الطور المنطقي**

**بين التكتل والابثاث**

#### **١.٤.١.٣. تعدد التأسيس والأطوار الخمسة للمنطق**

في الجزءين اللاحقين، سوف نركز الاهتمام على عمليات التحقيق المنطقي والإبداع العلمي المرتبط بها في الطورين المنطقيين الأوليين الذين عرفتهما مسيرة تطور علم المنطق.

وهذه المسيرة قد مرّت بخمس مراحل تسمى كل واحدة منها طوراً علمياً وتبدأ كلها بمرحلة التأسيس ثم تليها فترة سكون نسبي ثم تليها فترة إبداع علمي قد تتواءل وقد تقطع إلى مراحل جزئية. وتسمى مرحلة ما بعد السكون "المراحل الاتباعية العلمية". وسيأتي توضيح هذه الاصطلاحات أدناه.  
أما هذه الأطوار فهي الآتية.

#### **\* الطور الأول: طور التأسيس الأصيل**

هذا الطور هو الذي كان في كنف القرآن الكريم؛ ولم يعرف مرجعية غير المرجعية القرآنية المحمدية. وقد استمر هذا الطور قرنيين كاملين. وقد اتخذ علم المنطق خلاله شكلًا منبئًا، سيأتي الكلام عنه مفصلاً في الجزء اللاحق.

### \* الطور الثاني: طور التأسيس بالاقتباس

هذا الطور قد تبلور في كتف العلوم العقلية وخاصة الكلام والفلسفة؛ وكان مبنياً على عملية اقتباس بدأت بترجمة حرفية من اليونانية أو عبر السريانية التي كانت واسعة الانتشار بين العرب نسبياً.

وقد استمر هذا الطور منذ تأسيسه على يد الفيلسوف الكندي في بداية القرن الثالث إلى بداية القرن السادس، مع الإمام أبي حامد الغزالى (505هـ) الذي نقل المتنطق إلى طوره الثالث بعد محاولة فاشلة من ابن حزم الأندلسي في منتصف القرن الخامس.

### \* الطور الثالث: طور التأسيس المتشعري

لقد تأسس هذا الطور الطويل في كتف العلوم الشرعية بأوسع معانيها الذي يشمل المعقول والمنقول. واستمر من نهاية القرن الخامس إلى بداية عصر اليقظة الإسلامية في النصف الثاني من القرن الثالث عشر للهجرة. وما يزال هذا الطور مستمراً بالنسبة للأوساط المنشففة على مكاسبها الموروثة، حيث أنه لا يبدو أن ضرورة الخروج من هذا الطور قد اتضحت للكثير من المتعاملين بعلم المتنطق في الفضاء الشرعي المعاصر، فبقيت معظم دروس هذه الماداة مستقرة على مستوى شرح متن قديم هو منظومة السلم المرونة للأخضري (983هـ).

### \* الطور الرابع: طور التأسيس الفلسفـي الثاني

هذا الطور تجديد للطور الثاني مع استيعاب لواحد فلسفـي جديد على ساحة الفلسفة الإسلامية. فهو طور متفاعل مع تطورات التصوف والتراـث الأكـبرـي، ومستوـعب للمدرسة الفلسفـية الإسلامية التركـيبـية المسماـة "الحكـمة المـتعـالـية" التي أسسـها صدر الدين الشـيرـازـي (1050هـ) ويـجـسـدهـا منـطـقـة

منظومة الهادي السبزواري (1282هـ) والكتب التي دونت على هامشها. وبعض الشروح المعاصرة عليها.

#### \* الطور الخامس: التجديد في الفضاء المعرفي المفتوح

الطور الخامس هو طور متعدد بحكم المتغيرات المعاصرة التي تمثل ثورة المعلوماتية وعولمة الاتصالات الالكترونية أهم مظاهرها. ولم نعرف من ولจ غماره بعد. ومحوره تأسيس جديد يستوعب كل العناصر المعرفية التي دخلت حقل البحث العلمي في الإطار التكاملي الراهن للنظرية السكونية للموضوعات. وهو يتطلب تنقيحاً مناهجياً ومقولياً شاملاً تدرج به مناهج البحث في موضوع المنطق وتوسيع به دائرة التصورات المبحوثة لتشمل العلاقات بين المفردات والمركبات التصورية، والعلاقات بين التصورات الذهنية والشخصيات المعرفية لموجات الصور المتنقلة بسرعة الضوء.

#### ٤.١.٢. التأسيس القرآني للطور المنطقي الأول

بمجرد فرض ضرورة تأسيس المشروع الفكري الإسلامي المحمدي الأصيل بمحورية المنطق الإنساني العام، تُطرح إشكالية التدوين من حيث هو كاشف عن التأسيس الرسمي في الفضاء العربي الإسلامي، قبل قرنين من انطلاق حركة ترجمة منطق اليونان الذي غالب اسمه على غيره، مع كونه مسبوقاً بالضرورة. فهل مرّ منطق المشروع الإسلامي بمرحلة تدوين يمكن اعتبارها مرجعية للحركة العلمية العربية الإسلامية المبنية على أساسه؟

الجواب لا يحتاج إلى أكثر من نظرة تحليلية للنص المؤسس للمشروع الفكري الإسلامي، وهو القرآن الكريم والسنة القطعية الشارحة لمشابهاته.

### \* المشروع التغييري الإسلامي ومنطقه

خلاصة هذا التحليل الذي شُكِّل عمدة مباحث الكتاب الثاني من "مجموعة الدراسات الكلامية"<sup>١</sup>، يمكن تقديمها من خلال الخطوط العريضة الآتية:

أولاً: القرآن الكريم قد حمل مشروعًا منطقياً متكاملاً؛ ولكنه ليس منطقاً جديداً غير ما فُطرت عليه البشرية. وإنما هو مجموعة من الاختيارات المنطقية التي لا ينبع من مشروعه التغييري إلا بإحلالها محل الاختيارات المنطقية الجاهلية السائدة.

ثانياً: تتلخص الاختيارات المنطقية القرآنية في إعلان قدسيّة اليقين ونفي المشروعية عن كل طريق لا يوصل صاحبه إليه. والمستهدف الأول من مشروع التغيير المعرفي هو المظنوّنات والوهّميات؛ بينما تعامل القرآن مع الجدل تعاملًا ذرائعياً: فحسن منه ما كان في الحق، أي مطابقاً للواقع الموضوعي، وقبح منه ما كان في الباطل، أي مخالفًا للواقع الموضوعي.

ثالثاً: يهدف المشروع المنطقي القرآني إلى تأمين هيمنة البنية المنطقية البرهانية على التشكيلة المنطقية الظنية الموروثة عن الثقافة الجاهلية.

رابعاً: عروبة الثقافة وسيلة تكميلية فرضتها طبيعة لغة القرآن، من جهة، والخصائص الفريدة للشعب العربي، من جهة أخرى. فالله أعلم حيث يجعل رسالته: فنزلت على الشخص الأكمل في العائلة الأكمل في العشيرة الأكمل في القبيلة الأكمل في الشعب الأكمل من بين كل شعوب العالم آنذاك.

خامساً: المشروع الثقافي الإسلامي المحمدي الأصيل هو الذي يدفع بالإنسان المسلم نحو الكمال. وتجريد النفس لتصبح كائناً منطقياً لا يحتكم إلا لقواعد نزل بها الشرع وحكم بها العقل القاطع، هو المسلك الذي نادى به هذا المشروع الإسلامي الذي يمكن تلخيصه في شعار: أفلأ تعقلون؟

<sup>١</sup>- راجع كتاب: طوق النجاة، ص 127-160.

سادساً: القرآن الكريم هو سجل التدوين لكل المشروع التغييري الإسلامي، ومنه بعده المنطقي: فتدوين المنطقي في الفضاء العربي الإسلامي قد تم بخطوط عريضة، لكن واضحة، مع انتهاء عصر التنزيل. وتعتبر مرحلة ما بعد التنزيل، وهي عصر الصحابة والتابعين الأوائل، مرحلة استهلاك مباشر للمشروع.

#### \* الطور المنطقي الأول في ظرف التنزيل وبعده

بعد اتضاح حقيقة المشروع الفكري الإسلامي، يمكن الجزم بأن أطوار المنطقي في الفضاء العربي الإسلامي ليست اثنين أو ثلاثة فقط، بل هي أربعة، كان أولها متضمناً في المشروع الفكري الرسالي، أي ذلك الذي تضمنته الرسالة الإسلامية وتعامل معه المسلمون بدرجات متفاوتة من الفهم والتسليم.

وهنا قد يكون توضيح الفرق بين المصطلحين: الرسالي والإسلامي ضرورياً. وزيادة القول فيه أنَّ الرسالي هو ما يُنسب إلى رسالة الإسلام بنصيتها القرآن وشرحه النبوي، بينما الإسلامي هو الذي يُنسب إلى الأمة المسلمة بمجموع عناصرها المادية والمعنوية. فليس كل إسلامي رسالي بالضرورة، ولا عكس لأن النصوص تبقى جزءاً من كيان الأمة وإن لم تطبقها بالكامل.

بناء على هذا، فالمنطق الذي جاء به الإسلام هو جزء من مشروع رسالي حملته الأمة الإسلامية على عاتقها بعنوان أمانة قد كلفت بإيصالها إلى كل شعوب البشرية. وبما أنَّ الأمة لم تتعامل دائماً على نحو واحد مع هذا المشروع، فلا يمكن تسمية قسمه المنطقي باسم الإسلامي، بل المتعين تسميته بـ"المنطق الرسالي".

فماذا كانت حقيقة موقع هذا المنطق الرسالي من حركة تكامل الثقافة الإسلامية عبر تاريخها المشحون بالتوترات والأزمات؟

من الطبيعي أن تشهد هذه الحركة مراتب مختلفة من حضور المنطق الرسالي باختلاف الظرف الإنساني الذي يحتضنها:

ففي عصر التنزيل، كانت شخصية النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم مكملة لكل ما قد يطرأ من نواقص على مسيرة هذه الحركة؛ ففي هذا الظرف يستمر التأسيس مع حياة المؤسس. وقد كان موضوع التطبيق المنطقي الأكثر وضوحاً بناء الفرد والمجتمع بمحورية الأفق المنطقي الغيري بدلاً عن الأفق المنطقي الأناني.

وأما في ظرف ما بعد التنزيل، فقد شهدت الحركة الفكرية مراحل متفاوتة في التزامها بتطبيق المشروع المنطقي الرسالي، بعد تحوله من وجود متجسد في شخص جامع الكمالات عليه الصلاة والسلام إلى وجود كتبى وشفوي لفظي يحمله صحابة النبي الخاتم رضوان الله عليهم، ويحاولون تجسيده رغم المنافيات العديدة، ثم إلى وجود كتبى ولفظي متنازع حول بعض جزئياته، بدايةً من عصر التدوين الأموى<sup>1</sup>، وطيلة القرن الثاني.

وحتى يكون تحليل وظيفة المتنطق في هذه المراحل وافياً بأغراضه، لعله من الضروري التذكير بعصارة ما جاء في مجموعتي أعمال المنهجية الفقهية<sup>2</sup>، من تعريفات للتطور العلمي ومراحله، مع تطبيقها على مسيرة علم المتنطق في فضاءه الجديد: الفضاء العربي الإسلامي.

\*\*\*\*

<sup>1</sup>- مرت حركة التدوين بثلاثة عصور: الأولى أموى امتد إلى منتصف القرن الثاني، والثانية عباسى امتد إلى أواخر القرن الرابع والثالث بويهى منذ بداية القرن الرابع واستمر حتى بعد سقوط الدولة البويهية في ظل الدولة الصفوية. لاحظ تحليل هذه المراحل في تمهيد كتاب المستدرك *الأمين*.

<sup>2</sup>- المجموعة الأولى هي: "أطوار الاجتهاد ومناهجه"، وقد صدرت طبعتها الأولى سنة 2008. وطبعتها المنقحة الجديدة قيد الإعداد. أما الثانية فهي مجموعة "منهجية الفقاھة" الصادرة في طبعة جديدة منقحة سنة 2013.

#### **١.٤.١.٣. البحث الثالث**

##### **نظرة إجمالية**

##### **على الطور المنطقي الأول**

#### **١.٤.١.٣. الطور المنطقي: من التأسيس إلى الأفول**

مما يستدل عليه في أبحاث المنهجية المشار إليها أن كل علم مستحدث يمر بأطوار تكاملية يتشكل كل واحد منها من عدّة مراحل أقلّها أربع، وهي: التأسيس والسكون والاتباعية والأفول النسبي.

ومعنى النسبة في المرحلة الأخيرة أن الأفول قد يقتصر على انقطاع عموم نجاعة ذلك العلم، واقتصرارها على بعض مجالات حقله دون البعض الآخر؛ مما يجعل الحاجة إلى طور جديد ظاهرة.

والمراحل الثلاث الأولى وجوبية ولا يمكن إكمال الطور إلا بها. أما الرابعة فهي وجوبية لبروز الطور اللاحق وإن كان من شأن العلم أن يبقى في طوره الأول دون حاجة إلى طفرة كافية تدخله في طور آخر، فليس هناك مجال لتصور وجوب الأفول ولو كان نسبياً.

### \* مراحل الطور المنطقي

الطور المنطقي، بشكل عام، لا يختلف عن أي طور من أطوار تكامل العلوم. فهناك مراحل أربعة يجتازها حتماً، سواء طالت أو قصرت. فمراحله الأخيرة، وهي الأفول النسبي، هي التي تسمح بالانتقال إلى طور جديد: فلا يمكن الخروج من طور ما يزال مزدهراً، ولم تظهر الحاجة بعد إلى بديل عنه.

أما هذه المراحل الضرورية، فهي:

أولاً: مرحلة تأسيسية يتحدد فيها منهج البحث في ذلك العلم ومقاربته ونسق صياغة مقولاته. وفي الطور المنطقي الأول كان الشكل المنبث هو المتعين بحسب ما وقع تفريغه عن المستند الأول للحضارة الوليدة، وهو القرآن الكريم.

أما في الطور الثاني، فقد كان الشكل المدمج هو المتعين، بحسب مقتضيات مصدر الاقتباس، وهو المتنطق الأرسطي اليوناني.

وأما في الطور الثالث، فقد وقع الاحتفاظ بالشكليين معاً، في عملية تكاملية جديرة بالتنوية. وهذا الثراء هو من أهم أسباب استمرار هذا الطور -عند الكثيرين- إلى أيامنا.

ثانياً: مرحلة سكون نسبي، أو مطلق، قد لا تنتهي إلا بحدوث استفزاز خارجي للفعاليات الإبداعية الخامدة ينتج عنه انطلاق المرحلة الثالثة.

ثالثاً: مرحلة الازدهار الاتباعي. وتحقق بفضل حركة تكاملية تكون مرجعيتها إما تلك المرحلة التأسيسية أو عملاً خارجياً قد يكون طوراً سابقاً. وفي هذه الصورة يحصل نوع من التعااضل بين المرجعيتين يكون سبباً في

الانشغال والانشقاق المدرسي، أو نوع من التزاحم<sup>1</sup> بين المؤثرين ينحل بغلبة أحدهما على الآخر.

ولا ينبغي أن يغيب عن النظر أن الهدف من هذه المرحلة سواء كانت تعاضلية أو تزاحمية، إنما هو رفع التحديات المستجدة والطارئة التي تتطلب حلولاً ناجعة، مهما كان مأثارها. وهذه المرحلة هي أهم مراحل كل طور وهي المرحلة المسمى: بــ"الاتباعية" (classicisme) لكونها تصبح منبعاً للنماذج المتبعة. وهذه المرحلة قابلة للاستمرار طويلاً. ويمكنها أن تقسم بدورها إلى مراحل جزئية يكون آخرها "أفولاً اتباعياً"، وهو ما يجعل الانتقال إلى طور جديد أمراً متعميناً، وإنما ذلك العلم وأضحمّ.

#### \* الاستيعاب المعرفي والتأسيس المنطقي

إذا كان التأسيس-لغة- هو تشييد الأسس والأركان التي يقوم عليها البناء، فهو في علم المنطق يتجسد في إبراز القواعد المنطقية التي عرفنا أصلها الإنساني، في شكل جديد تفرضه حاجة معرفية مستجدة.

وقد مر أن غرض علم المنطق هو تأمين العملية الفكرية من المزالق والأخطاء. فلا بد أن يكون كل تأسيس تجديداً لهذه الضمانات عند كل عملية استيعاب معرفي جديدة: فهي أول عملية استيعابية للمنطق، وهي التي احتواها القرآن الكريم، كان الله أكمل للمشروع الرسالي هو تطهير الفضاء المعرفي من التشويش

---

<sup>1</sup>- التعامل حالة من التعارض بين مؤثرين لا تنحل إلا بانقسام الموضوع محل التعارض. وأما التزاحم فهو تنافي المؤثرين على موضوع واحد بحيث لا يستقر إلا تأثير أحدهما وهو الأقوى، بينما يبقى الثاني مكتفياً بتأثير جزئي غير ظاهر للملحوظ.

الذى أحدهته العوامل النفسانية الجاهلية وخاصة الخلط بين الوهميات والحقائق وبين نزوات النفس ودوعي العقل.

هكذا، محور العمل الدعوي للنبي الخاتم صلوات الله عليه في ثلاث محاور مرتبة ترتيباً تفاصيلياً قرآنياً: الحكم أولًا ثم الموعظة الحسنة ثانياً ثم الجدل بالتي هي أحسن ثالثاً. وقد رتب القرآن الكريم نفسه هذه المناهج الثلاثة في قوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: 125]

ولم يُيقِّن القرآن الكريم مجالاً ما هو دون الجدل بالحق، فقطع السبيل على الوهميات والمغالطات حتى لو كانت ستجلب للدين الجديد أنصاراً كثيرين.

### \* منطق عملاي منبث

في حين كان التأسيس اليوناني للمنطق متراوحاً بين اتجاهين غرضيين: أحدهما تنظيري وثانيهما عملاي (Opérationnel)، وكان الشكل الذي اتخذه مدمجاً، فإن التأسيس القرآني للمنطق قد حسم التردد لفائدة الاتجاه العملاي الصرف وترك مجالاً أوسع للتمظهر العملي لهذا العلم بإعطائه شكلاً منبثاً.

فقد كان استيعاب القرآن للمنطق الإنساني متمثلاً في تجديد كامل لصياغة بنية منطقية برهانية كانت محور المشروع التغييري الإسلامي، ومثلت روح المشروع المنطقى الرسالي.

إلا أنه، بعد قرنين من ذلك التأسيس، أي عند استيعاب العلوم العقلية المستوردة للمنطق، كان هناك اقتضاءات تأسيسية خاصة تختلف عن اقتضاءات التأسيس الأول، مما غيب الجسم العملاي المشار إليه، وأعاد

للمنطق تمظهره الكتلوبي الذي بدا استفزازيا في نظر كل المتعودين على شكله المبئث. وليس هناك سبب يدعو إلى تصور بقاء نجاعة مثل هذا الشكل الاستفزازي في الفضاء المعرفي الخاص بالعلوم الشرعية، بل إن ردود فعل السيرافي ومن سلك مسلكه يدل على العكس. وهذا مما دعا إلى انجاز عملية استيعاب ثالثة بعد قرنين ونصف من الثانية، أي في منتصف القرن الخامس.

ومن هنا، تعين الكلام عن وجود حاجة إلى تأسيس منطقي جديد عند كل عملية استيعاب معرفي جديدة.

ومن هناك أمكن تعميم القول بضرورة انتقال المنطق إلى طور علمي جديد كلما تحقق استيعاب معرفي جديد، كالذي تشهده الساحة الثقافية الإسلامية المعاصرة.

وهذا التعميم، مع كونه قابلا للنقاش كبرويًا أكثر مما هو عليه صغرويًا، يجد مستندًا تطبيقيا واضحًا له في الطورين المنطقيين الثاني والثالث. فهذا الأخير لم يكتمل إلا بجهود أبي حامد الغزالي؛ في حين تحقق الاستيعاب المعرفي الثاني، في فضاء العلوم العقلية، على يد الفيلسوف الكندي.

وهنا، قد يقال أن التجديد إنما هو التنقح الشامل للعلم، فيجب أن يستغرق الغرض العلمي والمنهج والمقولات.

إلا أن هذا الكلام صحيح في كل العلوم الغائية ولكنه ليس مطردا في العلوم الآلية جمِيعاً. وقد مرَّ أن المنطق أول الآلات العقلية. ومنه يتبيَّن أنَّ تنقح الغرض، وإن كان من خلال عنصر المقاربة، ليس شرطاً في التنقح الشامل للمنطق؛ بل يكفي فيه تنقح المنهج أو حتى المقولات.

### ١.٤.٣.٢. ظاهرة استهلاك التجديد

هناك ظاهرة محققة في الأطوار الفقهية، قد يقال بعمومها لكل العلوم الأخرى وهي أن كل مرحلة تأسيس تعقبها مرحلة ينعدم فيها الإبداع بانعدام الحاجة إليه. فيقتصر فيها الاجتهد على ما دون التجديد، ويكثر فيها التقليد.

فهل يمكن العجز، في خصوص علم المتنق، بأن مرحلة التأسيس تعقبها حتماً مرحلة استهلاك التجديد؟

باتتأمل في الطور المتنطي الأول خاصة تبدو الإجابة واضحة: فبعد مرحلة التنزيل، لم يكن خلفاء النبي الخاتم محتاجين إلى أي نوع من الاجتهد المتنطي: فغاية ما كانوا مدعوين إليه هو تبيان قواعد المسلك الرسالي في كل معضلة تعترض المسلمين.

فقد كان سلوك الخلفاء في التشدد في الأخذ بمقتضى القياس حاسماً في حفظ الدولة الناشئة. ولعل أشهر موارد هذا التمسك موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه، من مانعي الزكاة، حيث قال: لو منعوني عقال بغير كانوا يدفعونه إلى رسول الله لجاهدتهم عليه<sup>١</sup>!

وكتيراً ما كان السلوك المتنطي الرافض للظواهر النصوصية درساً لكل ذلك الجيل. ومثال ذلك جواب عمر بن الخطاب رضي الله عنه على من اعترض

<sup>١</sup>- هذا القول هو المشهور عن الطبراني وجمهرة المؤرخين ولكن البخاري نقل بسنده إلى أبي هريرة قوله: "قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر رضي الله عنه وكفر من كفر من العرب. فقال عمر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله. فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكوة، فإن الزكوة حق المال. والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤذونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها. قال عمر: رضي الله عنه فو الله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه فعرفت أنه الحق." (صحيح البخاري، ج. 2، ص 109-110)

عليه حين أمر المسلمين بالفرار من الطاعون، بدعوى أنه فرار من قدر الله، قائلاً: نفر من قدر الله إلى قدر الله<sup>1</sup>!

كذلك، فقد كان القضاء في النوازل من أهم الابلأءات التي اعترضتهم. وكانت أقضية الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه خاصة، تجسيداً لتحكيم قواعد المنطق بالدقة الرياضية أحياناً. ويكتفي كمثال على ذلك قضاوه في التهمة التي كادت تودي بحياة المغيرة بن شعبة وترثئه رغم حصول القناعة العامة بثبوتها في حقه<sup>2</sup>.

وهكذا، كان التأسيس للمحمدي ناجحاً تماماً في المجال المنطقي، وهذا هو الذي أمن للآمة زخماً حضارياً مكنها من اجتياز كل العقبات التي اعترضتها. دون الحاجة إلى إبداع منطقي يذكر.

\*\*\*\*

<sup>1</sup>- لاحظ نص الحادثة كما جاء في صحيح البخاري بسنده إلى ابن عباس(ج 7، ص 21)

<sup>2</sup>- لاحظ قصة هذه القضية في ترجمة زيد بن أبي بكرة في وفيات الأعيان، ج 6، ص 364-365.

#### **1.4.2. المبحث الثاني**

**التحيين الكتلوبي في الميزان:**

**جمل الخونجي، نموذجاً**

\*\*\*\*

#### **1.4.1. البحث الأول**

**سابقة تحيين المنطق**

**بين الانثاث والكتلوبية**

#### **1.4.1.1. تحيين المنطق بين مركز الحضارة وهامشها**

ليس المراد من هذه الإشارة الختامية بسط القول في تقييم المنتوج المنطقي العربي الإسلامي الذي أفرزته عملية الاقتباس الكبرى الممنجزة منذ نهاية القرن الثاني، فهذا البحث موكول إلى محله من الجزء الثالث؛ وإنما المطلوب - هنا - بيان الوجهة المعرفية التي اختارها مدونو المنطق في الطورين

الثاني والثالث، وموقع مقصود التحبيين منها، بالقياس إلى مقصود الاقتباس الذي كان المحرك الأول للعملية ومحور تأسيس الطور الثاني.

وفي هذا السياق، سوف يكون نموذج من إنتاج الطور المنطقي الثالث موضوعاً لبحثنا. ولهذا الاختيار سبب واضح، وهو كون هذا الطور ما يزال مستمراً في الوسط المترشّع الوفي للوظيفة العمّائية للمنطق، ويمكن اعتبار الاستمرار في دراسة السُّلْم المرويّن راية لهذه الظاهرة. وفي المقابل فإنَّ الطور الذي يفترض أن يحل محله قد ظلّ يعاني من حالة التهميش التي حولت ساحة العلوم العقلية إلى ساحة تعاضلية بمعنى الصريح للكلمة. والسبب في هذه الوضعية الشاذة سياسي بامتياز: فقد حكمت النزعة الانعزالية للدولة الصفوية التي عاصرت ظهور مشروع الحكم المتعاليّة، ثم الدولة القاجارية التي وظفت الظاهرة المذهبية توظيفاً سياسياً شديداً، على الطور المنطقي الرابع بالانحباس داخل أسوار طائفية خانقة، حيث الحراس الطائفيون ما انفكوا يكيلون له، وللفلسفة عموماً، شتى أنواع البخس<sup>١</sup>!

#### \* بين التأسيس والاقتباس

تقدّم أنَّ أهم ما يميز الطور المنطقي الأول عن الأطوار اللاحقة، كان طبيعة التأسيس التي جعلت المنطق في هذا الطور يتّخذ شكلاً منبئاً بعيداً عن كل شبهة اقتباس من أي حضارة كانت.

وفي المقابل، اعتمد تأسيس الطور المنطقي الثاني على الانطلاق من عملية اقتباس جماعي، برز من روادها الكندي ومتى بن يونس وأبو نصر الفارابي

---

<sup>١</sup>- لولا جهود بعض الباحثين والأساتذة العرب، مثل محمد رضا المظفر وعبد الجبار الرفاعي وكمال الحيدري، لبقت مدرسة الحكم المتعاليّة وإنّتاجها الخاص في علم المنطق خفياً عن الأنظار.

الذي فاقت شهرته الجميع. وقد اشتكت تلك المقتبسات المعاصرة من عدّة نواقص يمكن تلخيصها في تجاوز تطور الموضوعات في الفضاء الثقافي العربي الإسلامي الناهض، متمثلًا أساساً في ازدهار الأبحاث العقائدية، قدرة تلك المقتبسات المعاصرة من تراث أرسطو على تغطيتها. ومن هنالك برزت الحاجة إلى أول عملية تحبين حقيقة تطال الموروث اليوناني شكلاً ومضموناً. وكانت اتباعية الطور الملنطيقي الثاني، ممثلة خاصة في أبي علي بن سينا وتلميذه بهمنيار بن المرزيبان<sup>(458هـ)</sup><sup>¹</sup>، مستحبة لتلك الاقضاءات التطويرية الخاصة بالعلوم العقلية. أما العلوم الشرعية، من خلال الطور الفقهي الرابع وتزاحمه مع سلفه الثالث، فقد احتفظت بمنطقها الخاص<sup>²</sup>، عبر الاحتفاظ بمنطقها المنبث الذي ظهر في المرحلة الاباعية الأولى من خلال علم أصول الفقه واستمر في ظلّ اتباعية الثانية متقمصاً نفس الدور وضاماً إليه مهمة تدقيق تدوين الحديث<sup>³</sup>.

أما الشكل الذي احتفظ به الملنط طيلة هذا الطور فهو نفس الشكل اليوناني المدمج الذي لم يعرف المناطقة غيره. فعملية التحبين لم تطل الشكل، ولم يلتفت واحد من المناطقة المشرفين على عملية الاقتباس إلى حقيقة انبثاث

<sup>¹</sup>- أهم ما تركه كتاب: التحصيل، وهو تلخيص لكتاب الشفاء لأستاذه ابن سينا. ولكتاب التحصيل فضل كبير في حلّ الكثير من غواصات كتاب الشفاء. والقسم الأول منه في الملنط. وهو مطبوع بمقمة للمحقق المطهري. منذ ستينيات القرن الماضي.

<sup>²</sup>- سياق التعريف الدقيق للملنط في محله من الجزء الثاني.

<sup>³</sup>- من مظاهر الملنط المنبث الموجة الثالثة من علوم الحديث، وهي تدقيق الحديث التي بُرِزَّ من روادها المدققون وراء الصحاح، مثل الدارقطني والحاكم النيسابوري. وتعتبر هذه المرحلة عصرًا ذهبيًا في علوم الحديث التي عرفت بعدها مرحلة أ Fowler جسدها ابن الصلاح بمقدمته الشهيرة ويفتوح الأشهر ضد الملنط والمناطقة.

المنطق في العلوم الشرعية التي كانت المولود الشرعي الأول للحضارة الإسلامية، ولا إلى ميزته العمالنية التي جعلت أهله في غنى عن غيره.

من هنالك بدأت الإشكالات على هذا الشكل من المنطق، وليس على كل شكل منه، كما يُفهم من كلام أبي سعيد السيرافي<sup>١</sup>. فقد كان من حق علماء الفقه وأصوله التساؤل عن جدّية عوامل هذا الاقتباس وال الحاجة الفعلية إليه، والحال أنهم قد استطاعوا تطوير أجهزتهم الأصولية بدونه. وبالنظر إلى هذه الاعتبارات، كان من الطبيعي أن يبقى الطور المنطقي الثاني هامشيا بالنسبة للساحة الثقافية الإسلامية التي كان محورها العلوم الشرعية، وكانت رايتها بأيدي الفقهاء.

وهكذا، فإن المنطق في طوره الثاني، بذلك الشكل المقتبس الجديد، لم يكن مطلوباً عاماً من الساحة العلمية؛ ولا هو -تبعاً لذلك- كان مدعاً لأن يكون مستوعباً أو عملياً، كما يكون حال كل علم مطلوب ليفي بدور الآلة لغيره.

#### ٤.١.٢. الطور المنطقي الثالث وتعايشه الشكلين

مع كل ما مر، فقد كان اتجاه تطور الحاجات العلمية في مصلحة عودة قوية للمنطق، حتى في شكله الكثلي المقتبس من منطق اليونان. وهذا هو مغزى ظهور طور منطقي ثالث.

---

<sup>١</sup>- يرى طه عبد الرحمن أنَّ منطق معظم حملات مناهضة المنطق يمكن أن تعود إلى تلك المناقضة الشهيرة. وسيأتي نقد هذا التقييم في محله من الجرذين اللاحقين. والمهم في إشكالات السيرافي كونها قد استجمعت عدّة عناوين كل واحد منها كان يكفي لاستفزاز عقول المناطقة وتحريك هممهم من أجل الاستدراك ورفع التحدي؛ وهو ما حصل فعلاً بداية من الفارابي الذي كان تلميذاً لمتي بن يونس. لاحظ تجديد المنهج في تقويم الزواج، لطه عبد الرحمن.

### \* الطور الثالث والخروج من الهمامشية

في حين كانت مقاومة المد الأخباري وتطهير الفضاء المعرفي من النزعة الأخبارية الظنية شعاراً للطور الفقهي الثالث المتزامن مع الاتباعية المنطقية الأولى<sup>١</sup>، كان لعودة الأولوية<sup>٢</sup> لعلوم الحديث بعد استكمال موجة التدوين الثانية<sup>٣</sup> في القرن الثالث، اقتضاء قوي في اتجاه آخر، كان يbedo معاكساً لاتجاه الطور السابق. وهذا الاتجاه الجديد هو رد الاعتبار لصحة الرواية وللسند الموثوق، بشكل عام.

فقد شكل استكمال تدوين الحديث الشريف وظهور "الصحاح"، عنصراً هاماً وشديداً الاقتضاء في تأسيس طور فقهي رابع اثّسم بتسارع التحديات الواردة من مصدرين متوازيين: الحديث المدون وتتطور الموضوعات.

وكان لهذا الطور الفقهي الجديد احتياجات أكثر دقة على المستوى المنطقي. ولم يكن المنطق المنبث الموروث من خلال الصياغات الأولى لعلم الأصول، كرسالة الإمام الشافعي، وافيا بجميع الأغراض العلمية الجديدة. فبدأت موجة تدوين شاملة لعلم الأصول مع خلالها نجم أبو بكر الجصاص

<sup>١</sup> سياق تفصيل الكلام في هذا الموضوع في محله من الجزء الثاني.

<sup>٢</sup> في ظل الفقه المدني لم يكن للحديث أولوية في مقابل الأدلة القطعية من قبيل: عمل أهل المدينة؛ كما سيتوضّح في محله من الجزء اللاحق.

<sup>٣</sup> مرت حركة تدوين الحديث بثلاثة عمليات كبرى: الأولى أموية انطلقت بأمر من عمر بن عبد العزيز وكان هدفها إنقاد التراث النبوي من احتكار التدوين السري الطائفي؛ والثانية عباسية كانت بتشجيع من خلفاء بني العباس، وأولئك المنشور، وكانت تهدف إلى الاستدراك على موجة التدوين الأولى بما يثبت مصالح الدولة العباسية؛ والثالثة بويهية كانت بتشجيع من بني بويه الذين حاولوا توظيف الولاء لأهل بيته في إعلان ولائهم وسلم لتأسيس طائفة تكون قاعدة ملكهم، وكان ذلك في القرن الرابع. وفي كتاب المستدرك الأمين، أوضحنا تأثير كل موجة من هذه الموجات الثلاث في محصول الحديث الذي يشمل عليه التراث.

الرازي الحنفي<sup>١</sup> وابن حزم الأندلسي الظاهري(456هـ)<sup>٢</sup> وإمام الحرمين الجويني الشافعى(478هـ)<sup>٣</sup> وأبو الوليد سليمان بن خلف الباجى المالكى(474هـ)<sup>٤</sup>، واستقرت الرأية في نهاية القرن الخامس بيد الإمام أبي حامد الغزالى(505هـ)، أبرز خريجي مدرسة إمام الحرمين الجويني، والجامع بين الانتماء الفقهي الشافعى والتجدد العقائدى الأشعرى والسلك الصوفى.

أمام هذا الزخم الأصولي ومتطلباته الأدواتية من تطوير وتهذيب لقواعد المنطق، لم يكن متوج الطور المنطقي الثانى، المتجسد أساساً في تراث المدرسة الفلسفية المشائة الفارابية السينوية، بما كان عليه من المحاصرة والتهميش، ولا مكاسب الطور المنطقي الأول في شكلها المنبث المستعصي على الانتقال البيداغوجي، قادراً على الوفاء بهذه الأغراض الجديدة، وخاصة منها الأغراض التعليمية.

#### \* الاقتضاء التعليمي للشكل المدمج

بعد أن أصبح لهذا الطور الفقهي الجديد متطلبات جديدة على مستوى الأجهزة الأصولية المنتجة، ظهرت الحاجة إلى بلورة القواعد المنطقية بشكل تعليمي يسهل ترويجه والتعامل معه. عندئذ كان المنطق المدمج المنفتح طيلة العهد الاتباعي المنطقي الثاني موضوعاً للنظر والتقييم، بهدف توظيفه في المهام المعرفية الجديدة. فبدأت حركة التدقير المنطقي الشامل بمحاولة

<sup>١</sup>- أهم كتبه في أصول الفقه: الفصول في الأصول، وأحكام القرآن في الفقه القرآني.

<sup>٢</sup>- أهم كتبه في أصول الفقه: الإحکام في أصول الأحكام.

<sup>٣</sup>- أهم كتبه في أصول الفقه: البرهان في أصول الفقه.

<sup>٤</sup>- أهم كتبه في أصول الفقه: إحکام الفصول في أحكام الأصول.

تعريفية قام بها الإمام أبو محمد بن حزم الأندلسي<sup>١</sup>، تلتها عملية استيعاب شاملة كان رائدها الإمام أبو حامد الغزالي. فكان هذا العمل من مآثره العلمية، لا سقطة له كما توهمه بعض المؤثرين بابن تيمية<sup>٢</sup>. وكان كتاب معيار العلم من أبرز منتوجات هذه المرحلة التأسيسية الثالثة؛ وسيأتي بيان أهم خصائصه في الجزء الثالث من هذه المجموعة، باعتباره من أبرز مصاديق التعين الكلوي لعلم المتنطق. وبهذا الكتاب انحالت بعض عقد السيرافي ومن تأثر بها، وأمكن للمنطق المدمج التعايش بتناغم كامل مع المتنطق المبني الذي كان كتاب الغزالي المستصنف جاماً لأهم قواعده الأصولية، في نسق مماثل لأصول الطور الفقهي الثالث.

ولعل أهم ما يجدر التأكيد عليه - هنا - هو ما مرّت الإشارة إليه من تميّز هذا الطور المتنطقي الجديد بالتعايش الإيجابي الذي بلغ حد التناغم، بين شكلي المتنطق: المبني والمدمج. وسيأتي الكلام عن هذا التناغم، وعن بطلان التنظير للتضاد بينهما، في محله من الجزء الثالث.

### \* صورة مموجة عن منتوج الطور الثالث

من أجل أن تكتمل الصورة التي نقدمها في هذه المرحلة من بحثنا عن مجمل الظاهرة المتنطقيّة والتعين الذي شهدته في الفضاء العربي الإسلامي، وقبل عرض أهم خصائص المنتوج المتنطقي الإسلامي الأول الذي سيأتي أنه يتحمل عنوان "المتنطق المبني"، بامتياز، نختتم هذه المقدمات بعرض نموذج ملتوّج مرحلة السكون من الطور المتنطقي الثالث الذي لم يكن ناسجاً تماماً على منوال الثاني في اعتماذه الكامل على مرجعية المقاييس. فكان المنهج

<sup>١</sup>- لاحظ تقييم طه عبد الرحمن لهذه المحاولة في كتابه تجديد المنهج في تقويم التراث. ص 330 وما بعدها.

<sup>٢</sup>- هذا ما صرّح به علي سامي النشار في كتابه مناهج البحث... ص 81.

المتبع هو تحيّن المقتبس اليوناني بلحاظ مكاسب الطور الأوّل، وليس مع إغفالها كما كان في الثاني.

إن النصّ التراجمي الذي اختناه لنشير من خلاله إلى الميراث المنطقي الاتباعي بشكل إجمالي، هو رسالة في غاية الاختصار، بل الاختزال، لأحد أبرز الوجوه العلمية في بداية القرن السابع، أي: في المرحلة الثانية من الطور المنطقي الثالث، حيث لا مبرر لوجود مظاهر تطوير وإبداع في العلم، فكان كل العمل ينصب على حفظ مكاسب ذلك الطور.

\*\*\*\*

#### ١.٢.٤.١. البحث الثاني

##### الجمل وصاحبها

#### ١.٤.٢.١. الرسالة ومؤلفها

كاتب هذه الرسالة هو ابن نامور المعروف بـ"الخونجي"(٦٤٦هـ). وحيث أن عصر المؤلف والفضاء المعرفي الذي نشأ فيه أشد أهمية من إنتاجه، رغم اشتهراره، فتركز الاهتمام على ما تحصل من ترجمته، وما ينكشف من مقدمة ناسخ رسالته.

#### \* ترجمة الخونجي

يُعرف الحافظ الذهبي الخونجي بقوله: "القاضي المتكلم الباهر أفضل الدين أبو عبد الله محمد بن ثاماور بن عبد الملك، الخونجي، الشافعي، نزيل مصر. ولد سنة تسعين وخمس مئة. وولي القضاء بمصر وأعمالها، ودرس بالصالحية، وأفقي، وصنف. قال أبو شامة: كان حكيمًا منطقياً، وكان قاضي القضاة بمصر.

قال ابن أبي أصيبيعة: تميز في العلوم الحكمية، وأتقن الأمور الشرعية فوجده ملائماً رأيته الغاية القصوى في سائر العلوم، وله تصانيف في الطلب

والمنطق. مات في رمضان سنة ست وأربعين وست مئة<sup>١</sup>. وقد كانت وفاته، كما قررها الزركلي، بالقاهرة.

وقال عنه الزركلي: عالم بالحكمة والمنطق، فارسي الأصل. انتقل إلى مصر، وولي قضاءها. وتوسّع في ما يسمونه (علوم الأوائل) حتى تفرد ببراءة ذلك في زمانه، وصنّف كتاب (كشف الأسرار عن غوامض الأفكار-مخطوط) في إستمبول والقاهرة، في الحكمة، (الموجز - مخطوط) في المنطق. (الجمل)... وغير ذلك.<sup>٢</sup>.

وأما النص الذي يأتي عرضه أدناه، الذي سماه صاحبه: "الجمل"، للتعبير عن شدة اختصاره، فقد حاول مؤلفه من خلاله اختزال أهم مباحث المنطق المدمج التي لم يكن يستغني عنها علماء عصره. ولذا، فقد كان موضوعاً لشرح عديدة، سيأتي ذكرها في محله من بحث الاتباعية المنطقية الثالثة، في الجزء الثالث من هذه المجموعة. ونظراً لهذا الموقع المتميز لهذه الرسالة، فإنها تصلح لتمثيل مجلد النصوص المنطقية التي يزخر بها تراثنا. كما أنها تعطي الباحث فكرة مجملة عما يبحثه علم المنطق، بشكليه المبني والمدمج، وعن أهم نتائجه. وهذا المقدار من الاطلاع يكفي لاستكمال دراسة مسيرة التدوين والتحقيقين التي شهدتها هذا العلم.

#### \* حول أسباب مرجة جمل الخونجي

إنّ ما يدعو مثل هذا الاختيار، علاوة على الاختصار الشديد والصيغ الدائع للنص وصاحبها، هو السعي إلى أن تكون للأبحاث الآتية، حول مسيرة

<sup>١</sup>- سير أعلام النبلاء، ج 23، ص 228.

<sup>٢</sup>- الأعلام، ج 7، ص 122.

تدوين المتن وتحقيقه في الفضاء العربي الإسلامي، مرجعية قياسية علمية تكون معبرة بشكل أmin عن الخط التكاملـي العام الذي شهدته المباحث المتنافية خلال هذه المسيرة. وللموقع الزمني الذي ظهر فيه هذا النص دلالة خاصة لا بد من الوقوف عليها: فعصر المؤلف كان عصر سقوط وانهيار شامل للأنظمة السياسية الحاكمة في الفضاء العربي الإسلامي. وبعد فترة طويلة من التخفي وراء إنجازات الألاف، لم تلبث أن انكشفت سوءة هذه الأنظمة بسقوط بغداد أمام أعداد قليلة نسبياً من المغول، بعد أقل من قرن من هبة يحالها الناظر صحوة عارمة في حين أنها لم تكن أكثر من انتفاضة تعبوية مكنته المسلمين، بقيادة صلاح الدين الأيوبي، من طرد الصليبيين من بيت المقدس وتوحيد قسم كبير من الشرق الأوسط. ولا يمكن أن يعتبر نجاح المماليك في رد المغول عن بلاد الشام بعد ذلك، بزعامات روحية صوفية، مؤشراً صادقاً على نهضة جديدة، فالمسار الانحطاطي كان، آنذاك، قد أصبح عاماً وشاملاً ولم يلبث أن أدى إلى ضياع تدريجي لملك الأندلس، ثم وقوع المشرق تحت حكم أجيال أخرى من الأقوام العسكرية: وهم الأتراك العثمانيون والتatars التيموريون ثم الأتراك الصفويون.

وكل هذه الأقوام المعسكة بالفطرة، وخاصة قياداتها الاستبدادية بطبعها، لم يكن لها استعداد للمماحة الفكرية التي يُخشى أن تكون منتجة لغير ما تهوى الأنفس: ومن هنا ازدهرت الفنون الجميلة في عهدهم وتحت رايات استبدادهم. في حين انقطع سير تكامل العلوم المحركة ملوكات الاجتهدـ، في أي مجال كان.

#### ١.٢.٤.٢. فوائد من مقدمة الرسالة

كتب عبد الله محمد بن سعيد المصري، ناسخ المخطوط المتاح من رسالة "الجمل" للخونجي في مقدمتها:

بسم الله الرحمن الرحيم  
صلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه  
قال الشيخ الإمام الأستاذ العالم الصدر الأجل الأوحد أبو عبد الله محمد ابن نامور  
الشهير بالخونجي رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

#### \* نكتة تاريخية مهمة

في هذا التقديم نكتة علمية خفية يجدر الانتباه إليها، وهي: ما وراء المبالغة في أوصاف التعظيم التي أسبغها الناسخ على المؤلف. فحتى لو كان من تلامذته الخواص، ما كان ليجمع كل تلك الألقاب لعالم لم يشتهر بفقهه ولا بتفسيره، وإنما اقتصرت شهرته على العلوم العقلية، كما يظهر من ترجمته. وأمام استعمال لقب "الإمام" في حقه، فهو من وضوح الدلالة بحيث لا يقى مجال للشك في أنه كان على مسلكه العقائدي الخاص ومنتهاجاً نهجاً المعرفي الذي غالب عليه التصوف.

#### \* المخاطبون بجمل الخونجي

لا يخفى ابن نامور أن رسالته المختصرة إنما تخاطب نخبة مستخلصة من مثقفي ذلك العصر.

والالتفات لهذه النكتة في غاية الأهمية: فهي تكشف عن واقع معرفي مختلف تماماً عن ذلك الذي كان يعني منه علماء القرون الخمسة الأولى. فالمنطق المدمج قد تحول إلى أداة لا يستغني عنها عالم في القرن السابع،

و خاصة بعد بروز شخصيات موسوعية باللغة التأثير كالفخر الرازي، وكذلك بعد محنّة ابن رشد القرطبي، وانتشار ردوده على شبهات المشككين في الحكمة؛ تلك الردود التي انتقلت إلى مصر إثر تهريب نسخة يتيمة من كتبه من الأندلس وإنقاذها من الإحرق.<sup>1</sup> ولا شك أن هذه الرسالة تعبر عن تحول المتنطق إلى علم آلي واسع الاستعمال لدى العامة والخاصة، فيحتاج كل من العالم والمتعلم إلى تذكرة مستمرة بضوابطه. ومثل هذه "الجمل" شديدة الاختصار لا يمكنها أن تكون ذات فائدة كبيرة إلا ملتفقة ي يريد أن يكون لديه استحضار دائم لقواعد المتنطق؛ نظير فاضل لا يريد أن تفوته نكات علمية في مناظرها أو في كتاب يطالعه بعد أن سبق له أن حذق هذا الفن في شبابه، فاحتاج إلى مفكرة جامعة ومختصرة تضبط له قواعده. وإلى هذا المعنى يشير المؤلف في مقدمته، فيقول:

"الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين،  
وآله الطاهرين.

أما بعد، فهذه جمل تتضبط بها قواعد المتنطق وأحكامه، ووضعتها لجمع من أكابر العلماء وأعيان الفضلاء من إخواني في الدين، مستمدًا من الله تعالى حسن التوفيق بهـ  
وفضله.

#### \* الخصيـات الارتباطـية للرسـالة

قبل الاطلاع على أهم الخصيـات الشكلـية وـالماهـورية لهذه الرسـالة، وهو ما لا يتسنى إـلا بالـتمعـن في مضمـونـها بعد حـسن الـوقـوف على مجـمل مـطالبـ

<sup>1</sup>- راجع مقدمة كتاب فصل المقال، لابن رشد، طبعة المتوسط الجديد 2013.

علم المنطق في مظانه المعروفة والماتحة؛ بإمكاننا الكلام عن بعدها الارتباطي الصرف، وهو ما ينكشف من مقدمتها القصيرة الآتية.

وإن أهم ما ينبغي الالتفات إليه على المستوى الارتباطي هو توزُّع المخاطبين بهذه الرسالة بين جميع الحقول العلمية التي لم تعرف حالة تنطع وجحود من قبل المشتغلين فيها.

ولمقصود بحالة التنطع والجحود هو الإصرار على ترديد النكير على المنطق وأهله رغم عدم الاستغناء عن قواعده. ومثل هذا السلوك قد استبعد إلى حيث يستتحق، في حاشية الفكر الإسلامي منذ العمل الاستيعابي البناء الذي قام به الإمام الغزالي، كما مرَّ. لكنَّ الذي ينبغي الوقوف عليه، هنا، هو ما آلت إليه الوضع بعد ظهور ابن تيمية في أوائل القرن الثامن، والانتكاسة التي أصبت بها العلوم العقلية في المشرق الإسلامي بعد حملته الشعواء على المنطق والمناطقية؛ تلك الحملة التي ردَّ فيها كثيراً من شعارات المنتقدين الأوائل للمنطق المدمج، مضيفاً إليها بعض الشبهات التي لا يعجز طالب علم متوسط عن دفعها. ومع هذا فقد وجدت تلك الشعارات بعض الآذان الصاغية لفترة من الزمن، ثم لم تثبت أنَّ غمرتها موجة الركود العام طيلة القرون الوسطى الإسلامية، إلى أنَّ أحيتها الموجة الحشوية المعاصرة.

فهذه الرسالة، على اختصارها، تعتبر حجة على المنكريين على المنطق وأهله، قدِّيماً وحدِيثاً؛ دون أن يعني هذا توقف تطور حركة تحيسن هذا العلم بعد عصر الخونجي. وهو ما يأتي بيانه بالتدریج.

\*\*\*\*

#### 1. 4. 3. ملحق

##### جمل المنطق

لأفضل الدين عبد الله بن نامور الخونجي  
تحقيق وعنونة: هيئة التحقيق والتأليف م. ج

#### 1. 4. 1. في مباحث الألفاظ

##### \* أقسام الدلالات

دلالة اللفظ على المعنى لوضعه له<sup>١</sup>: مطابقة.

وما دخل فيه: تضمن.

وما خرج عنه: التزام. والمعتبر في هذا: اللزوم الذهني، لينتقل الفهم من المسمى إليه، دون الخارجي، لعدم توقف الفهم عليه.

##### \* المفرد والمركب

واللفظ: إما مركب إن دل جزءه على جزء معناه وإنما فهو مفرد؛ سواء تعددت مسمياته، وهو المشترك، أو اتحدت، وهو المنفرد.

##### \* المُتَشَخِّصُ والمتواطئُ والمشكك

وهو (أي: اللفظ) باعتبار كل مسمى:

---

<sup>١</sup> الأفصح: الم موضوع له.

إما عَلَم، إن تشخص ذلك المسمى.  
وإلا فمتواطئ، إن استوت أفراده فيه.  
أو مشكك، إن كان البعض أولى من البعض وأقدم.

#### \* أقسام المفرد وأيضاً، المفرد:

إن صلح لأن يخبر به، فإن دلّ بهيئته على زمان كان فعلًا؛ وإنّا كان اسمًا.  
وإن لم يصلح، كان أدلة.

#### \* الترادف والتباين وأيضاً، فكل لفظ: إما مرادف للفظ آخر، إن وافقه في المسمى؛ وإن فميابين له.

#### \* الكلي والجزئي وأيضاً، فالمفرد:

إما كلي، إن لم يمنع نفس تصور معناه من صدقه على كثيرين امتنع وجودها في  
الخارج عن المفهوم؛ أو إمكانه ولم يوجد؛ أو وجد منها واحد فقط مع امتناع غيره أو  
إمكانه؛ أو كثير متناه.  
وإما جزئي، إن منع؛ ويسمى الحقيقية وهو أخص من الإضافي المندرج تحت الكلي.

#### 1. 4. 3. الکليات الخمسة

##### \* أقسام الكلي

والكلي: إن كان تمام ماهية أفراده كان نوعاً حقيقة لحمله عليها في جواب ما هو.  
وإن كان جزءاً منها: فإن حمل عليها في جواب ما هو حال الشركة كان جنساً؛ وإن  
(إن) حمل عليها في جواب ما هو في جوهره فكان فصلاً.

وإن كان خارجا عنها: فإن حمل على ما تحت طبيعة واحدة فقط كان خاصة.  
وإن حمل على غيرها أيضا كان عرضا عاما.  
وكل واحد منهمما: إما غير شامل، أو شامل مفارق؛ أو لازم إما للوجود أو للماهية.  
وذلك: إما بغير وسط، إن لم يفتقر العلم باللزوم إلى ثالث؛ وإما بوسط، إذا افتقر  
إليه.

#### \* مراتب الجنس والنوع

والجنس: إن علا ما عداه من الأجناس سمي عالياً وجنس الأجناس.  
وإن كان عكسه، فهو الجنس السافل والأخير.  
وإن توسطهما فهو المتوسط؛ وإن بابنهما فهو المفرد.  
ويقال للمندرج تحت الكلّي: نوع إضافي. وقد يوجد بدون الحقيقي، كالجنس  
المتوسط، وبالعكس كالماهية البسيطة.  
ومن مراتب النوع الإضافي الأربع المذكورة والسافل منها نوع الأنواع.

#### 1. 4. 3. في المعرفات

##### \* ضابطة المعرف الإجمالي

والمعرف للشيء ما معرفته سبب معرفته؛ بشرط: أن يكون غيره؛ وسابقا عليه في  
المعرف؛ وأجلـى منه  
- ومساويـا له في العموم؛ وغير معرف به.  
ذلك يفيد تميـيزه عن غيره في الجملـة.

##### \* الرسم

فإن اقتصر عليهـ كان رـساـما: إما نـاقـصـا، إنـ كانـ بالـخـاصـةـ فـقـطـ.  
وـإـماـ تـامـاـ، إنـ كانـ بـهـاـ وـبـالـجـنـسـ.

\* الحدّ

وإن أفاد مع ذلك التمييز الذائي، كان حداً. وشرطه أن يكون بالذاتيات. فإن اقتصر عليه كان حداً ناقصاً كما هو بالفصل وحده وبه مع الجنس بعيد. وإن أفاد، مع ذلك، الإحاطة بكتمه الحقيقة كان حداً تاماً. ويشترط أن يكون بجميع الذاتيات.

والخلل في كل قسم بانعدام بعض شرائطه.

#### 1. 4. 3. 4. أقسام القضايا

\* الإنشاء والخبر والقضية

والخلل في اللفظ أن لا يكون ظاهر الدلالة بالنسبة إلى السامع<sup>1</sup>. وللفظ المركب: إن دل بالقصد الأول على طلب الفعل كان، مع الاستعلاء، أمراً، ومع الخضوع سؤالاً، ومع التساوي التماساً. وإلا كان تنبئها، إن لم يحتمل الصدق والكذب<sup>2</sup>. وإن احتملها كان خبراً قضية

\* القضية الحعملية والقضية الشرطية

وهي (أي: القضية) إما شرطية، إن تحلل طرفاها إلى قضيتين. وإما حعملية: إن تحللا إلى مفردتين حكم فيها بأن ما صدق عليه أحدهما بالفعل في الحمل صدق عليه الآخر إيجاباً أو سلباً.

<sup>1</sup>- اللفظ عند الأصوليين إما نصٌّ: يدل على معنى واحد؛ وإما ظاهر: يدل على عدة معانٍ يكون أحدها ظاهراً بحكم العرف اللغوي؛ وإما مجمل، وهو الذي يشير إليه المؤلف، عليه الرحمة.

<sup>2</sup>- هذه هي أقسام الإنشاء المتدلية، وهو كل ما لم يدل على نفي نسبة أو إثباتها.

### \* عناصر القضية الحملية وأحكامها

ويسمى (العنصر) الأول منها موضوعاً والآخر محمولاً.  
فإن كانا وجوديين كان محصلة الطرفين وإن كانت معدولة بطرفيها معاً أو بأحدهما فقط.

وعلى كل تقدير فلابد من نسبة للمحمول بها يصدق على الموضوع أنه هو في الموجبة، وأنه ليس هو في السالبة.  
فإن صرّح بالرابطة، أي باللفظ الدال عليها، سميت القضية ثلاثة وإلا ثنائية.

### 1. 4. 3. القضايا الحملية وأحكامها

\* القضايا المحصلة والمعدولة  
والمحصل والمعدول ما في طرف المحمول.  
فالقضيتان إن توافقتا في العدول أو التحصل دون الكيف تناقضتا وعلى العكس تعاندت صدقاً حالة الإيجاب وكذباً حالة السلب.  
وإن اختلفتا فيما كانت الموجبة أخص من السالبة.  
وحرف السلب المتأخر عن الرابطة جزء من المحمول. والمتقدم عليها لسلب الحكم فلا التباس في اللفظ بين الموجبة المعدولة والسايبة المحصلة ثلاثة وثانية.  
بالنية، أو بالاصطلاح على تخصيص بعض الألفاظ بالإيجاب والبعض بالسلب.

### \* أسوار الحملية

وموضوع الحملية إن كان معيناً سميت مخصوصة، موجبة وسايبة. وإن كان كلياً.  
وسميّت محصورة ومسورة إن قرن بها السور وهو اللفظ الدال على كمية الأفراد إما بالتعييم وتسمى كليّة: إما موجبة سورها: كل؛ وإنما سالبة سورها: لا شيء ولا واحد.  
وإما بالتبسيط وتسمى جزئية، إما موجبة سورها: (بعض واحد)، وإنما سالبة سورها: (ليس بعض)، وهذا قد يستعمل للسلب الكلي ولا يستعمل

لإيجاب، وبعض، ليس)، وهو بالعكس من الأول. (وليس كل) ودلالته: بالتطابقة على سلب الحكم عن الكل بما هو كل وعن البعض بالالتزام. فإن لم يقرن بها السور أصلاً كانت مهملاً موجبة وسالية وهي في قوة الجزئية مساواتها إياها في الصدق.

#### \* القضية المنحرفة

وإن قرن السور بالمحمول سميت منحرفة. والضابط في المنحرفة أنه كلما كان أحد الطرفين شخصاً مسورة أو كان المحмول إيجاباً كلياً أو سلباً جزئياً وكانت المادة ممتنعة أو ما يوافقها من الإمكان وجب توافقهما فيه.

#### 1. 4. 3. 6. موجهات القضايا

##### \* المادة والجهة

وكيفية النسبة الحكمية: بالضرورة والدلوام ومقابليهما، يسمى مادة. ولابد منها بحسب الأمر نفسه. فإن صرخ بالجهة، أي باللفظ الدال عليها، سميت القضية رباعية وموجبة، وإن مطلقة.

##### \* الضرورة

والضرورية ما يجب محمولها موضوعها إيجاباً أو سلباً ما دامت ذاته موجودة وتسمى ضرورية مطلقة. أو ما دام موصوفاً بالوصف الذي عبر به عن الموضوع إما مطلقاً وهي المشروطة العامة. أو مقيداً باللادوام بحسب الذات وهي المشروطة الخاصة. أو بحسب وقت ما مع اللادوام وهي الواقتية إن عين الوقت، وإن فهي المنتشرة.

**\* الدوام**

والدائمة أن يدوم المحمول إما بحسب ذات الموضوع وهي الدائمة المطلقة. أو بحسب الوصف وهي العرفية العامة إن أطلقت والخاصة إن قيدت بالادوام.

**\* سلب الضرورة**

وسلب الضرورة المطلقة عن أحد الطرفين إمكان عام وعن كليهما إمكان خاص. وسلب جميع الضرورات عن الطرفين إمكان أخص وبالنسبة إلى الزمان المستقبل استقبالي.

**\* المطلقة**

والمطلقة قد فهم منها قوم أصل الثبوت أو السلب مطلقاً بالفعل. وبعضهم قيده بالادوام، وبعضهم بالضرورة. وتسمى الأولى مطلقة عامة والثانية وجودية لا دائمة والثالثة وجودية لا ضرورية.

**1.4.3.7. التناقض والعكس****\* التناقض بين القضايا**

والتناقض هو اختلاف قضيتين بالإيجاب والسلب، بحيث يقتضي لذاته صدق أحديهما وكذب الأخرى.

فنقيض القضية البسيطة المخالفه في الكيف والضرورة والإمكان والعموم والخصوص بحسب الأزمنة والإفراد الموافقة في الطرفين والزمان. ونقيض المركبة المفهوم المردد بين نمائض الأجزاء.

**\* العكس**

والعكس هو تبديل كل واحد من طرفي القضية بعين الآخر في العكس المستوى، ونقيض الآخر في عكس النقيض، معبقاء الصدق والكيفية في المستوى، والصدق فقط في عكس النقيض.

والسالبة إذا اعتبر فيها العموم بحسب الأزمنة والأفراد انعكست كنفسها في المستوى وإن لم تتعكس أصلًا. وكذلك الموجبة في عكس النقيض على رأي. وعلى رأي يعتبر العموم بحسب الأزمنة فقط.

والموجبة تتعكس جزئية في المستوى وبوجهة الإطلاق في الفعليات والإمكان العام في غيرها وعلى رأي بوجهة الإمكان العام في الكل. كذلك السالبة في عكس النقيض.

#### ١.٤.٣.٨. البرهنة والقياس وأشكاله

##### \* أنماط استلزم المحال

والبرهان هو استلزم نقيض العكس المحال لانعكاسه إلى نقيض أصل القضية، أو الأخص من نقيضها، أو لإنتاجه مع أصل القضية المحال، أو بفرض الكلام في معين. ويدل على الانعكاس النقض في الموارد.

##### \* تعريف القياس

والقياس قول مؤلف من قضايا مستلزم بالذات لقول آخر. ويسمى استثنائياً إن اشتمل بالفعل على النتيجة أو نقيضها وإن اقترانياً.

##### \* أركان القياس

ويشتمل على مقدمتين: إحداهما تشتمل على موضوع المطلوب المسمى بالأصغر وهي الصغرى والأخرى على محموله المسمى بالأكبر وهي الكبرى. والطرف الآخر من كل واحدة منها مشترك بينهما جامع وهو الأوسط.

### \*أشكال القياس

فإن كان محمولاً في الصغرى، موضوعاً في الكبرى، فهو النظم الكامل ويسمى الشكل الأول.<sup>1</sup>

وإن كان بالعكس فهو الشكل الرابع، لبعده عن الكامل جداً.<sup>2</sup>

وإن كان محمولاً فيهما فهو الشكل الثاني، ملاؤقته الأول في أشرف مقدمتيه، أعني الصغرى.

وإن كان موضوعاً فيهما فهو الثالث.

### \* الضابطة في إنتاج القياس

والضابط في الإنتاج موضوعية الأوسط للظرفين<sup>3</sup> بالفعل أو بالقوة مع عموم وضعه لأحدهما وللأصغر بالثبوت أو ثبوته لكل الأكبر مع نفيه عن الأصغر.

وتتوقف كلية النتيجة على عموم موضوعية الأصغر وكلية الكبرى وإيجابهما على إيجاب المقدمتين.

### \* الاختلاطات وشروط إنتاجها

والاختلاطات إذا استنتج الإيجاب منها أو وافقت الكبرى النظم الكامل أتاحت مطلقاً وإلا اعتبر فيها أمور ثلاثة:

أحدها: دوام الصغرى أو انعكاس الكبرى.

والثاني: أن لا تستعمل الممكنة إلا مع ما فيه ضرورة.

والثالث: انعكاس السالبة في الشكل الرابع.

<sup>1</sup> مثاله: كل إنسان فان؛ وسocrates إنسان؛ فسocrates فان.

<sup>2</sup> مثاله: كل إنسان سيموت؛ وكل من سيموت سيحاسب يوم الدين؛ فكل إنسان سيحاسب يوم الدين.

<sup>3</sup> ومثل هذه الموضوعية مفقودة في المثالين الآتيين: الأول من الشكل الثاني: الكلاب ميتون؛ وسocrates ميت؛ فسocrates كلب. والثاني من الشكل الثالث: الكلاب حيوانات؛ والكلب وفي؛ فاللوبي حيوان.

والشرط الثاني لا يعتبر، على رأي، بل الباقيان فقط. والنتيجة تتبع محمولة الأكبر في الضرورة واللاضرورة مطلقاً فيما عدا الدوام بحسب الوصف عند فعليّة الصغرى، وتتبع موضوعية الأصغر عند كون الكبري دائمة بحسب الوصف أو كون الصغرى ممكناً أو كونها ضرورية من الرابع إلا في اللادوام أو اللاضرورة والضرورة عند انفراد الصغرى بالضرورة تتبع المقدمة الدائمة والضرورة سالبة أو كبرى فقط مخالفة للنظم الكامل.

#### \* تشكييل البرهان \*

والبرهان هو: بعكس المقدمة المخالفة للنظم الكامل. أو تبديل إحدى المقدمتين بالأخرى أو بعكسها ثم عكس النتيجة. أو بالخلف: وذلك بضم نقيس النتيجة إلى المقدمة المخالفة لينتتج نقيس الأخرى المموافقة أو ما ينعكس إلى نقيس الأخرى المخالفة أو بالافتراض وذلك بفرض موضوع المقدمة الجزئية معيناً لتصير كلية. ويدل على العقم الاختلاف وذلك بصدق القياس مع إيجاب النتيجة تارة وسلبها أخرى من المواد.

#### ١.٤.٣.٩. القضايا الشرطية وأحكامها

##### \* أقسام الشرطية \*

وأما الشرطية فتنقسم إلى متصلة وهي ما كان إحدى القضيتين -وتسمى المقدم- مستصحبة للأخرى -وتسمى التالي- لعلاقة بينهما تقتضي ذلك، وتسمى لزومية، أو مجرد اتفاقهما في الصدق وتسمى اتفاقية.

والى منفصلة وهي ما كان الحكم فيها بين القضيتين بالتعاند إما في الصدق والكذب معاً وهي الحقيقة أو في الصدق فقط وهي مانعة الجماع. أو في الكذب فقط وهي مانعة الخلو.

### \* صدق الشرطيات المنفصلة

وصدق الأولى بكون كل واحد من طرفيها نقىض الآخر أو مساوياً لنقىضه.

والثانية بكون كل واحد منها أخصّ من نقىض الآخر.

والثالثة بكونه أعم.

ثم سالبة كل واحدة من هذه القضايا ترفع اللزوم.

فإليجاب بإنبيات اللزوم والعناد. والسلب برفعهما، سواء كانت من موجبات الأجزاء أو سوابلها.

### \* أركان الشرطيتين

وكل واحدة من الشرطيتين<sup>1</sup> تتالف من حمليتين أو متصلتين أو منفصلتين أو حملي ومتصل أو حملي ومنفصل أو متصل ومنفصل.

وتتعدد المتصلة بتعدد أجزاء التالي دون المقدم لوجوب لازمية الجزء لما يلزم الكل دون العكس.

وتتعدد المنفصلة بتعدد أجزائها بحسب منع الخلو دون الجمع.

### \* ملاك الصدق في الشرطيتين

والمتصلة تصدق عند صدق الطرفين أو التالي فقط أو كذبهما معاً وتكتذب بكذب الطرفين أو أحدهما أو صدقهما معاً إذا كانت لزومية.

وتصدق المنفصلة الحقيقة بصدق أحد الطرفين فقط وتكتذب عند كذبهما معاً وصدقها معاً.

وتصدق مانعة الجمع بكذب الطرفين أو أحدهما وتكتذب بصدقهما.

ومانعة الخلو بالعكس والسوالب على العكس في الكل.

### \* الكلية والجزئية في الشرطيتين

والمتصلة اللزومية قد تكون كلية، وهي أن يكون التالي لازماً للمقدم على جميع أوضاعه التي يمكن حصوله عليها ومقارنات التي يمكن اجتماعها معها،

<sup>1</sup> - يعني: المتصلة والمنفصلة.

وجزئية وهي التي تلزم بعض هذه الأوضاع، ومخصوصة وهي التي تلزم على وضع معين.

#### \* أسوار الشرطيات

والسؤالب في مقابلة الموجبات. فسور الإيجاب الكلي في المتصلة: كلما ومهما ومتى. وفي المنفصلة: دائمًا.

وسور السلب الكلي فيهما: ليس البتة.

وسور الإيجاب الجزئي بإدخال حرف السلب على سور الإيجاب الكلي، والخصوص بتخصيص اللزوم أو العناد بحال أو زمان. والإهمال: بإطلاق لفظ: لو وإن وإذا في المتصلة، وإما في المنفصلة.

#### \* الملازمات بين الشرطيات

والمتصلة تستلزم متصلة توافقها في الكم والمقدم وتخالفها في الكيف وتناقضها في التالي. وتستلزم منفصلة مانعة الجمع من عين مقدمها ونقيض تاليها. ومانعة الخلو من نقيض مقدمها وعين تاليها، متعاكستين عليها، وتستلزمها منفصلة حقيقة من أحد الجزءين ونقيض الآخر من غير عكس.

وكل واحدة من المتصلة والمنفصلات الثلاثة موجبة تستلزم سوالب الباقي مركبة من الجزءين من غير عكس.

وكل واحدة من غير الحقيقتيتين تستلزم الأخرى مركبة من نقiphy جزأيها من غير عكس.

#### ١.٤.٣.١٠. أشكال القياس الاقتراني الشرطي

##### \* الأقسام الخمسة للقياس الاقتراني القياسات الاقترانية الشرطية خمسة أقسام:

المؤلف من متصلتين، ومنفصلتين، ومتصل ومنفصل، وحملي ومتصل، وحملي ومنفصل.

**\* الضابطة الإنتاج في القسم الأول**

فإن كان الأوسط جزءاً تماماً من المقدمة الشرطية فالضابط فيه كون القياس مشتملاً بالفعل أو بالقوة على متصلتين هما على تأليف منتج. والنتيجة حينئذ في القسم الأول متصلة من الطرفين أو من نقيضهما أو منفصلة تلزم هذه المتصلة. وإن لم يكن الأوسط جزءاً تماماً فالضابط فيه كلية إحدى المقدمتين مع اشتغال المشاركين على تأليف منتج مع اعتبار منع الخلو من الشرطية إن كانت منفصلة أو إنتاج أحدهما مع نتيجة التأليف بينهما مقدم متصلة كلية هي إحدى المقدمتين أو لإحديهما. والنتيجة حينئذ في القسم الأول متصلة كلية من الطرف غير المشارك من الكبrij ونتيجة التأليف.

**\* الضابطة في القسم الثاني**

وفي القسم الثاني منفصلة مانعة الخلو من كل ما لا يشارك، ونتيجة التأليف من كل ما يشارك.

**\* الضابطة في الثالث**

وهذه نتيجة الثالث إن جعلت منفصلة؛ وإن جعلت متصلة كان مقدمها الطرف غير المشارك من المقدمة المتصلة. وتاليها نتيجة التأليف من طرفها الآخر والمقدمة المنفصلة.

**\* الضابطة في الرابع**

وفي القسم الرابع متصلة أحد طرفيها الطرف غير المشارك من المقدمة المتصلة بالوضع الذي كان فيه. والطرف الآخر نتيجة التأليف.

**\* الضابطة في الخامس**

والقسم الخامس ينتج حملية إن شارك كل جزء من أجزاء الاتصال حملية واشتركت التأليفات في نتيجة واحدة وإنما فمثلاً نتيجة القسم الثاني وللمعتبر هو الضابط المذكور بالفعل أو بالقوة.

### \* الضابطة في القياس الاستثنائي

والقياس الاستثنائي: إن كانت الشرطية فيه متصلة أنتج وضع المقدم فيها وضع الثاني ورفع التالي رفع المقدم وإلا بطل اللزوم دون العكس في شيء منها، لاحتمال كون التالي أعم.

وإن كانت منفصلة: فإن كانت حقيقة أنتج وضع كل واحد من الجزءين رفع الآخر لامتناع الخلو وذلك إذا وضع مقيداً.

وإن كانت مانعة الجمع أنتج وضع كل واحد من الجزءين رفع الآخر لامتناع الجمع دون العكس لإمكان الخلو.

وإن كانت مانعة الخلو فعلى العكس من ذلك.

### \* الخاتمة

وهذا آخر ما قصدنا ذكره في هذا المؤلف والله الهادي وهو وليد الكفاية وواهب العقل والقوة. له حمد يستحقه وشكر يرتضيه وهو حسبنا ونعم الوكيل.

نجزت الجمل المنطقية للشيخ أفضل الدين عبد الله بن محمد ابن نامور الخونجي رحمة الله تعالى ورضي عنه وهي مما أفادني بكتبها أخي وسيدي أبو الحسن علي بن عتيق أهانني الله وإياه على ما يقربنا منه ويرلتنا لديه بجاه سيدنا محمد وأله الطاهرين.

كتب هذا إثر الفراغ من مقابلتها بيده الفانية عبد الله الراجي رحمته الباقة محمد بن عيسى رفق الله به ورزقه العلم والعمل.

## ١. ٥. محصلة عامة

### إباء المنطق المُحيّن للتجريد اللاإقعي

#### \* واقعية التجريد في المنطق العربي

خلافاً لما اعتقاده بعض المعاصرین<sup>١</sup>، من كون "المنطق يجرد السلوك الفكري ويبني آلياته" "الاستدللية" ببناء مستقلاً عن الواقع الفكري العسوي<sup>٢</sup>، فمما مرَّ من بحوث هذا الجزء انكشف أنَّ عملية تجريد المنطق وصياغته في شكل كثلوي ليست إلَّا اقتضاء عملاًانياً خاصاً بفضاء معرفي عقلي كان يونانياً خلال نشأته الأولى، ثم شهد عملية تعريب شاملة في نشأته الثانية، وخلال طورها الثاني، بالتحديد.

فقد تقدَّم أنَّ لعلم المنطق -في الفضاء العربي الإسلامي- نشأة مختلفة عن نشأته اليونانية وهي متميزة بمواصفاتها الارتباطية العملاًنية التي تأبِي التجريد اللاإقعي. فالتجريد الممكن للمنطق في هذه النشأة لا يعودُ البعدين الشكلي والارتباطي للموضوعات التي يعالجها، فلا يمس ماهياتها إلَّا عرضاً، أو بملائمة. من هنا، نستطيع أن نفهم اقتصار الإنجاز العلمي المنطقي الذي احتضنته العلوم الشرعية لدى تأسيس الطور المنطقي الثالث على التحبيين الشكلي والارتباطي لميراث الطور الثاني، دون الحاجة إلى تنقيحات ماهوية عميقة، سوى ما فرضته طبيعة اللغة من استحداث للمزيد من مفاهيم مباحث الألفاظ.

<sup>١</sup>- مثل الأستاذ طه عبد الرحمن، في كتابه: تجديد المنهج في تقويم التراث. ص 311 وما بعدها.

<sup>٢</sup>- المصدر السابق.

### \* تعّين المنهج البيداغوجي في الطور الثالث

لقد كان تعامل مؤسسي الطور الثالث متخلصاً من العقدة القديمة التي قرّها السيرافي بإدانته الجاحدة للمنطق. فكان تعامل كبار فقهاء الطور المنطقي الثالث ومتكلميّه، مثل: المؤسسين ابن حزم الأندلسي وأبي حامد الغزالى، وروّاد الاتباعية الثالثة الذين جمعوا بين مختلف الفنون العقلية مثل ابن رشد القرطبي والفارس الرازى وابن ناصر الخونجى، مع الميراث المنطقي اليونانى، ذرائعاً تماماً بالقياس إلى فلاسفة الطور الثاني: ففي حين أخذ هؤلاء الفلاسفة، مثل الفارابى وابن سينا، بكل مباحثه وطوروها، ركز فقهاء الطور الثالث ومتكلموه النظر على البعدين الارتباطي والشكلي في الميراث اليونانى المحيّن في فضاء العلوم العقلية المعربة خلال ذلك الطور. وقد اتّخذت عملية التحين الثانية -هذه- شكليّن مختلفين:

**الأول:** محاولة تعرّيف شاملة للمنطق، وكان الغرض الواضح منها دفع إشكالات المشككين في منطق اليونان، والمعتقدين بوثاقة الارتباط بين اللغة الحاضنة الأولى والمنطق الكتلوى الناشئ في أحضانها.

**الثاني:** عملية تقرّيب بيداغوجي جعلت المنطق المدمج مجرد أداة طيعة في خدمة العلوم الشرعية بمعناها الأعم المشتمل على علوم الشريعة وعلوم العقيدة وعلوم السلوك.

ومع كون ظاهر هذه الصورة يوحى بأن الشكل الثاني وحده هو الذي تمكّن من فرض نفسه في ساحة العلوم الشرعية، بالغاً أوج عزّه مع المنظومات التي نظمها المتأخرون في قواعد المنطق، أو المختصرات البيداغوجية العلمية التي دونّها أكابر الفقهاء، نظير مختصر الإمام ابن عرفة، فإن التحقيق يقودنا إلى أن الخط المنطقي المواري، وهو المنبث، هو الذي أشد ثراء وعطاء.

وفي الجزءين اللاحقين من هذه المجموعة، نستكشف ملامح هذا العطاء بدأية من تأسيس العلوم المشخصة للحضارة الإسلامية، كالنحو وأصول الفقه والكلام.

انتهى الجزء الأول من المنطق المحيّن، بحمد الله  
والله ولي التوفيق

طبلبة المحروسة، في 12 ربيع الأنور 1435

## جدول المحتويات

5 .....	كلمة الناشر.....
9 .....	1. الجزء الأول: نحو تجديد مقاربة المنطق.....
11 .....	1. الفصل الأول: إشارات حول موجبات تحين علم المنطق.....
13 .....	1.1. المبحث الأول: علم المنطق بين المجد الابياعي والرداءة الوظيفية.....
13 .....	1.1.1. البحث الأول: موقع متميز وقصور وظيفي.....
13 .....	1.1.1.1. الابياعية وازدهار العلوم الآلية.....
15 .....	1.1.1.1.2. تميز موقع المنطق.....
17 .....	1.1.1.2. البحث الثاني: مقارقة الموقع والأداء.....
17 .....	1.1.1.2.1. مقارقة توجب التحين.....
18 .....	1.1.1.2.2. المكاسب التاريخي والقصور الحالي.....
21 .....	1.1.2. المبحث الثاني: من مظاهر قصور الأداء الوظيفي.....
21 .....	1.1.2.1. البحث الأول: التردي المنطقي وانهيار مستوى التحصيل.....
21 .....	1.1.2.1.1. وظيفة المنطق في الحقول المتردية.....
23 .....	1.1.2.1.2. قوى الضغط السياسية وتأثيرها.....
25 .....	1.1.2.2. البحث الثاني: تجدد الحملة على أصول الاجتهد.....
25 .....	1.1.2.2.1. السعي لابتزاز حظوظ التمكّن العلمي.....
26 .....	1.1.2.2.2. اتجاهان متوازيان في ضرب المنطق.....
29 .....	1.2. الفصل الثاني: ظاهرة القصور المنطقي وخطّة العلاج والتحين.....
31 .....	1.2.1. المبحث الأول: تحليل أولي للقصور المنطقي.....
31 .....	1.2.1.1. البحث الأول: تدعيم فزاعة الإسلام بتغييب التحسين المنطقي.....
31 .....	1.2.1.1.1. نموجية سلوك بعض الجماعات.....
32 .....	* تدعيم التخويف من الإسلام.....
33 .....	* حاجة الغرب إلى فزاعة جديدة.....
33 .....	1.2.1.2. ماذا وراء مزايدات الجماعات المعاصرة؟.....
34 .....	* رد ساذج وجواب واضح.....
35 .....	* نتيجة طبيعية لغياب التحسين المنطقي.....

1.1.2. البحث الثاني: حول القصور المنطقي وتوظيفه السياسي .....	36
1.1.2.1. الرداءة المنطقية وإيقاد الفتنة الطائفية .....	36
1.1.2.2. الفضائيات والتسطيح المنطقي .....	39
1.1.2.3. المبحث الثاني: نحو تحليل موضوعي للقصور المنطقي .....	41
1.1.2.3.1. البحث الأول: حول عموم القصور .....	41
1.1.2.3.1.1. تساؤلات حول أصل القصور .....	41
1.1.2.3.1.2. عموم البلوى بالرداءة المنطقية .....	42
1.1.2.3.2. البحث الثاني: وجهان للقصور الوظيفي .....	44
1.1.2.3.2.1. القصور التعليمي .....	44
1.1.2.3.2.2. القصور الذاتي في الميراث المنطقي .....	45
1.1.2.3.3. المبحث الثالث: التحبيين المتعين للمنطق .....	47
1.1.2.3.3.1. البحث الأول: هيكلية التحبيين ومخاطبيه .....	47
1.1.2.3.3.1.1. الخطوط العريضة للعملية .....	47
1.1.2.3.3.1.2. استبعاد ترتيب أشواط التحبيين .....	48
1.1.2.3.3.1.3. تقديم الاختيار الوسطي .....	48
1.1.2.3.3.2. اقتضاءات طيف المخاطبين .....	49
1.1.2.3.3.3. محصلو العلوم الشرعية واقتضاءات دراستهم .....	50
1.1.2.3.3.4. اقتضاءات الدراسات العقلية .....	51
1.1.2.3.3.5. الهيكل العام للمادة المحيّنة .....	52
1.1.2.3.3.6. المنهاج المقرر .....	52
1.1.2.3.3.7. في سياق مقاومة التضليل .....	53
1.1.2.3.4. البحث الثاني: تحبيين مقدمات ابن الصبان وعناوين الماهوي .....	54
1.1.2.3.4.1. استدراك على منظومة ابن الصبان .....	54
1.1.2.3.4.2. مبادئ العلم بعد التحبيين .....	55
1.1.2.3.4.3. عناوين الإضافات الماهوية .....	57
1.1.2.3.5. الفصل الثالث: نحو تحبيين الإطار المعرفي للمنطق الإنساني العام .....	59
1.1.2.3.6. المبحث الأول: المنطق الإنساني العام: ماهيته ووظائفه .....	61
1.1.2.3.6.1. البحث الأول: موضوعية الظاهرة المنطقية .....	61
1.1.2.3.6.1.1. الظاهرة المنطقية والمنطق .....	61
1.1.2.3.6.1.2. المنطق العام للظواهر الاتصالية .....	62

63.....	* الناطقية والظاهرة المنطقية
64.....	* المنطق الإنساني العام
64.....	1. 1. 2. الطابع الاستكشافي لعلم المنطق
65.....	* محورية الاصطلاح في عمل المناطقة
65.....	* ما وراء الاصطلاحات
66.....	* الأصل الإلهي للمنطق
67.....	<b>1. 1. 2. البحث الثاني: المشروعية الوظيفية للمنطق</b>
67.....	1. 1. 2. 1. من الخصائص الوظيفية لعلم المنطق
68.....	* قاعديتان منطبقتان على المحك
68.....	* حول انتقاد القاعدة الأولى
69.....	* الم موضوعية والذاتية في أدوات الخطاب
70.....	* واقعية المشتركات البشرية
71.....	1. 1. 2. 2. تهافت نظرية تعدد المدلولات
71.....	* القاعدة الأولية في الخطاب العقلائي
72.....	* مثال كلمة "يد" في القرآن
73.....	<b>1. 1. 3. البحث الثالث: تجاوز المنطق للنظام الارتباطي</b>
73.....	1. 1. 3. 1. المنطق في حقل المعرفة البشرية
73.....	* اتساع حقل العلم
73.....	* إنسانية الحاجة إلى المنطق
74.....	1. 1. 3. 2. شبهة احتضان العلوم العقلية للمنطق
74.....	* تقرير شبهة الارتباط مع جنس العلوم العقلية
76.....	* حول انفراد الحقل العقلي بالوفاء للمنطق
76.....	* التوسيعة المفاهيمية لعنوان العلوم العقلية
77.....	* علاقة حقل البحث بالتجاعة الوظيفية للمنطق
79.....	<b>1. 2. المبحث الثاني: تحين تعريف المنطق في الفضاء المعرفي التكاملي</b>
79.....	<b>1. 2. 1. البحث الأول: من التعريفات السكونية إلى التعريف التكاملي للمنطق ..</b>
79.....	1. 2. 1. 1. تعريفان سكونيان متكمالان
80.....	* خصائص التعريف في الفضاء التكاملي
81.....	* التعريف الأولى لعلم المنطق
82.....	* استكمال التعريف الوظيفي لعلم المنطق

83.....	1. استكمال التعريف الماهوي لعلم المنطق.....
84.....	* أغراض علم المنطق.....
85.....	* منهج علم المنطق.....
86.....	* موضوع علم المنطق وحقل مقولاته.....
<b>88 .....</b>	<b>1.2. البحث الثاني: نظرة على حقل المنطق.....</b>
88.....	1. محاور الحقل المنطقي المحيّن.....
88.....	* إشكالية مقاربة التصورات.....
89.....	* إشكالية تقييم الارتباطات.....
89.....	* إشكالية مقاربة القضايا.....
90.....	* إشكالية تقييم الإثباتات والاستدلال.....
90.....	* إشكالية المنهجة وتقييم مناهج البحث.....
91.....	1.2. أهمية قسم المنهجة وأفاقه.....
92.....	1.2.2. الطبيعة الانسانية لعلم المناهج.....
<b>93 .....</b>	<b>1. الفصل الرابع: تاريخية تحين المنطق في الفضاء العربي الإسلامي.....</b>
<b>1.4. المبحث الأول: المنطق العربي الإسلامي بين التأسيس القرآني والاقتباس اليوناني</b>	
95 .....	
<b>1.4.1. البحث الأول: الظاهرة المنطقية العربية أمام التحليل الوظيفي .....</b>	
95.....	1. مراجعة تاريخ تأسيس المنطق.....
96.....	* فرضية الأطوار الثلاث.....
97.....	* مشكلة اختزال التصور الأساسي للمنطق.....
98.....	* توضيح مصادرة السيرافي.....
99.....	1.4.1.2. المنطق بين التكتل والانبعاث.....
100.....	* الخلفية المعرفية للشكل.....
101.....	* تجديد الشكل والتأسيس المنطقي.....
<b>1.4.2. البحث الثاني: الطور المنطقي بين التكتل والانبعاث .....</b>	
102.....	1. تعدد التأسيس والأطوار الخمسة للمنطق.....
102.....	* الطور الأول: طور التأسيس الأصيل.....
103.....	* الطور الثاني: طور التأسيس بالاقتباس.....
103.....	* الطور الثالث: طور التأسيس المتشعّعي.....
103.....	* الطور الرابع: طور التأسيس الفلسفـي الثاني.....

* الطور الخامس: التجديد في الفضاء المعرفي المفتوح.....	104
1.4.1.2. التأسيس القرآني للطور المنطقي الأول.....	104
* المشروع التغييري الإسلامي ومنطقه.....	105
* الطور المنطقي الأول في ظرف التنزيل وبعده.....	106
1.4.3. البحث الثالث: نظرة إجمالية على الطور المنطقي الأول.....	108
1.4.1.1. الطور المنطقي: من التأسيس إلى الأقوال.....	108
1.4.1.2. مراحل الطور المنطقي.....	109
1.4.1.3. الاستيعاب المعرفي والتأسيس المنطقي.....	110
1.4.1.4. منطق عملي منبئ.....	111
1.4.1.5. ظاهرة استهلاك التجديد.....	113
1.4.2. المبحث الثاني: التحيين الكتلوبي في الميزان: جُمل الخونجي، فمذجا.....	115
1.4.2.1. البحث الأول: سابقة تحيين امتنق بين الانبثاث والكتلوبية.....	115
1.4.2.1.1. تحيين المنطق بين مركز الحضارة وهامشها.....	115
1.4.2.1.2. بين التأسيس والاقتباس.....	116
1.4.2.1.3. الطور المنطقي الثالث وتعايشه الشكلين.....	118
1.4.2.1.4. الطور الثالث والخروج من الهاشمية.....	119
1.4.2.1.5. الاقضاء التعليمي للشكل المدمج.....	120
1.4.2.1.6. صورة فمذوجية عن منتوج الطور الثالث.....	121
1.4.2.2. البحث الثاني: الجمل وصاحبها.....	123
1.4.2.2.1. الرسالة ومؤلفها.....	123
1.4.2.2.2. ترجمة الخونجي.....	123
1.4.2.2.3. حول أسباب مرجعية جمل الخونجي.....	124
1.4.2.2.4. فوائد من مقدمة الرسالة.....	126
1.4.2.2.5. نكتة تاريخية مهمة.....	126
1.4.2.2.6. المخاطبون بجمل الخونجي.....	126
1.4.2.2.7. الخصائص الارتباطية للرسالة.....	127
1.4.3. ملحق: جمل المنطق لأفضل الدين عبد الله ابن نامور الخونجي.....	129
1.4.3.1. في مباحث الألفاظ.....	129
1.4.3.2. أقسام الدلالات.....	129
1.4.3.3. المفرد والمركب.....	129

129 .....	* المُتَشَّحُّصُ وَالْمُتَوَاطِئُ وَالْمُشَكِّكُ
130 .....	* أَقْسَامُ الْمُفَرِّدِ .....
130 .....	* التَّرَادُفُ وَالتَّبَابِينُ .....
130 .....	* الْكُلِّيُّ وَالْجُزْئِيُّ .....
130 .....	4. 3. 2. الْكُلِّيَاتُ الْخَمْسَةُ .....
130 .....	* أَقْسَامُ الْكُلِّيِّ .....
131 .....	* مَرَاقِبُ الْجِنْسِ وَالنُّوْعِ .....
131 .....	4. 3. 3. فِي الْمُعْرِفَاتِ .....
131 .....	* ضَابِطَةُ الْمُعْرِفَ الْإِجمَالِيِّ .....
131 .....	* الرُّسْمُ .....
132 .....	* الْحَدُّ .....
132 .....	4. 3. 4. أَقْسَامُ الْقَضَايَا .....
132 .....	* الإِنْشَاءُ وَالْخَبْرُ وَالْقَضِيَّةُ .....
132 .....	* الْقَضِيَّةُ الْحَمْلِيَّةُ وَالْقَضِيَّةُ الشُّرْطِيَّةُ .....
133 .....	* عِنَاصِرُ الْقَضِيَّةِ الْحَمْلِيَّةِ وَأَحْكَامُهَا .....
133 .....	4. 3. 5. الْقَضَايَا الْحَمْلِيَّةُ وَأَحْكَامُهَا .....
133 .....	* الْقَضَايَا الْمُحَصَّلَةُ وَالْمُعَدُّولَةُ .....
133 .....	* أَسْوَارُ الْحَمْلِيَّةِ .....
134 .....	* الْقَضِيَّةُ الْمُنْحَرِفَةُ .....
134 .....	4. 3. 6. مَوْجِهَاتُ الْقَضَايَا .....
134 .....	* الْمَادَّةُ وَالْجَهَةُ .....
134 .....	* الْفَرْرُورَةُ .....
135 .....	* الدَّوَامُ .....
135 .....	* سَلْبُ الْفَرْرُورَةِ .....
135 .....	* الْمَطْلَقَةُ .....
135 .....	4. 3. 7. التَّنَاقُضُ وَالْعُكُوسُ .....
135 .....	* التَّنَاقُضُ بَيْنَ الْقَضَايَا .....
135 .....	* الْعُكُوكُ .....
136 .....	4. 3. 8. الْبَرْهَنَةُ وَالْقِيَاسُ وَأَشْكَالُهُ .....
136 .....	* أَنْمَاطُ اسْتِلْزَامِ الْمُحَالِ .....

136.....	* تعريف القياس.....
136.....	* أركان القياس.....
137.....	* أشكال القياس.....
137.....	* الضابطة في إنتاج القياس.....
137.....	* الاخلاطات وشروط إنتاجها.....
138.....	* تشكييل البرهان.....
138.....	1. 4. 3. 9. القضايا الشرطية وأحكامها.....
138.....	* أقسام الشرطية.....
139.....	* صدق الشرطيات المنفصلة.....
139.....	* أركان الشرطيتين.....
139.....	* ملاك الصدق في الشرطيتين.....
139.....	* الكلية والجزئية في الشرطيتين.....
140.....	* أسوار الشرطيات.....
140.....	* الملازمات بين الشرطيات.....
140.....	1. 4. 10. أشكال القياس الاقتراني الشرطي.....
140.....	* الأقسام الخمسة للقياس الاقتراني.....
141.....	* ضابطة الإنتاج في القسم الأول.....
141.....	* الضابطة في القسم الثاني.....
141.....	* الضابطة في الثالث.....
141.....	* الضابطة في الرابع.....
141.....	* الضابطة في الخامس.....
142.....	* الضابطة في القياس الاستثنائي.....
142.....	* الخاتمة.....
143.....	1. 5. محصلة عامة: إباء المُنْطَق المُحِين للتجريد الواقعي.....
143.....	* واقعية التجريد في المُنْطَق العربي.....
144.....	* تعين المُنْحِي البيداغوجي في الطور الثالث.....
145 .....	جدول المحتويات.....



الهاتف: 00216-31 107 040

للمراسلة: [newmedhous@hotmail.com](mailto:newmedhous@hotmail.com)

الإيداع القانوني:  
الثلاثية الأولى  
2014

المطبعة:  
دار المتوسط الجديد